المختارات الشعرية

للإمام أبي حامد الغزالي

من كتابه (إحياء علوم الدين)

جمع وإعداد
صالح الشاعر

الناشر
مكتبة مدبولي الصغير

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خير الخلق أجمعين، سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين، وبعد ...

فإنَّ كتاب (إحياء علوم الدين) من الكتب الخالدة ذات القيمة العلمية والتاريخية، وهو كتابٌ ديني وأخلاقي جديرٌ بكثير من القراءات المتأنِّية الفاحصة؛ لاستخراج ما حواه من كنوز، وبثِّ ما فيه من درر.

الإمام أبو حامد الغزالي
(450 – 505 هـ) – (1059 – 1111م) :

والإمام أبو حامد الغزالي ـ رحمه الله ـ هو محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الغزالي، الملقَّب حجَّة الإسلام، ولقبه زين الدِّين، الطُّوسي الفقيه الشَّافعي، كان تلميذًا لأحمد الراذكاني في مبدأ أمره ببلده (طوس)، ثم ذهب إلى نيسابور فدرس على أبي المعالي الجويني، ثمَّ صار من الأعيان المشار إليهم في زمن أستاذه، وكان أستاذه يفخر به، ثم خرج من نيسابور إلى العسكر، ولقي الوزير (نظام الملك) فأكرمه وأقبل عليه وعظَّم أمره، واشتهر أمره بالجدال والمناظرة في مجالس الوزير.

درَّس الإمام الغزالي في المدرسة النظامية ببغداد قرابة أربع سنوات (484هـ – 488هـ)، ثم ترك التدريس وسلك طريق الزهد والانقطاع وقصد الحج، فلما رجع توجه إلى الشام فأقام بدمشق مدَّة يذكر الدروس في زاوية الجامع، وانتقل بعد ذلك إلى بيت المقدس ثم إلى مصر حيث أقام بالإسكندريَّة، ثمَّ عاد إلى طوس حيث اشتغل بالتَّصنيف فوضع

(الوسيط) و(البسيط) و(الوجيز) و(الخلاصة) و(الإحياء) وغير ذلك من كتب الفقه وأصوله وعلم الجدل.

ثم ألزم بالعود إلى التدريس بالمدرسة النظامية بنيسابور فأجاب إلى ذلك، ودرَّس فيها سنتين، ثم تركها وعاد إلى وطنه، واشتغل بختم القرآن ومجالسة أهل التصوُّف والقعود إلى التدريس إلى أن انتقل إلى جوار ربِّه.

خلَّف الغزالي عددًا من المؤلَّفات النافعة في عدَّة مجالات، كـ(إحياء علوم الدين)، و(آداب الصوفية)، و(ميزان العمل)، و(معراج السالكين)، و(مشكاة الأنوار) في التَّصوُّف والأخلاق، و(عقيدة أهل السُّنَّة) و(القسطاس المستقيم)، و(الرِّسالة القدسيَّة) في العقائد، و(مقاصد الفلسفة) و(تهافت الفلاسفة) و(معيار العلم) في المنطق، رحمه الله رحمةً واسعة.

كتاب (إحياء علوم الدين):

أما كتابه (إحياء علوم الدين) [1] فهو الكتاب الفذُّ الذي أثنى عليه علماء الإسلام، وغير واحد من عارفي الأنام، فقال فيه الحافظ العراقي في تخريجه: إنه من أجلِّ كتب الإسلام، في معرفة الحلال والحرام، جمع فيه بين ظواهر الأحكام، ونزع إلى سرائر دقَّت عن الأفهام، لم يقتصر فيه على مجرَّد الفروع والمسائل، ولم يتبحَّر في اللُّجَّة بحيث يتعذَّر الرجوع إلى الساحل، بل مزج فيه علمي الظاهر والباطن، ومزج معانيها في أحسن المواطن.

وقال عبد الغافر الفارسي في مثال الإحياء أنَّه من تصانيفه المشهورة التي لم يُسبَق إليها، وقال فيه النووي: كاد الإحياء أن يكون قرآنًا، وقال الشيخ أبو محمد الكازروني: لو مُحيت جميع العلوم لاستُخرِجت من الإحياء.

---

(1) انظر كتاب (تعريف الأحياء بفضائل الإحياء) للشيخ عبد القادر بن شيخ العيدروس با علوي، وهو ملحق بكتاب الإحياء ج6 ص244.

وقـال العـارف بالله علي بن أبي بكر بن الشيخ عبد الرحمن السَّقَّاف: لو قلَّب أوراقَ الإحـياء كافرٌ لأسلم؛ ففيه سرٌّ خفيٌّ يجذب القلوب شبه المغناطيس ... والمراد [1] بالكافر هنا ـ فيما يظهر ـ الجاهل لعيوب النفس، المحجوب عن إدراك الحق، أي فبمجرَّد مطالعته للكـتاب المذكـور يـشرح الله صـدره، ويـنوِّر قلبه؛ وذلك لأن الوعظ إذا صدر عن قلب متَّعظ كان حريًّا أن يتَّعظ به سامعه.

المختارات الشِّعرية:

وقـد كنت قرأت كتاب الإحياء منذ فترة، وشدَّني ما فيه من الشِّعر الَّذي يستشهد به الإمام الغزالي في موضوعات الكتاب، ففكَّرت أن نستفيد بهذا الشِّعر فائدة مضاعفة، من جهـة لمـا فيه من بثٍّ أفكار الإحياء الدِّينية والخلقية، ومن جهةٍ أخرى لما حوى من ألفاظ جميلة ومعـانٍ سـامية في صـياغة سلـسة، فكانـت فكـرة (ديوان الإحياء) أو (المختارات الشِّعرية للإمام أبي حامد الغزالي).

وقيمة هذا الشِّعر تعبِّر عنها عبارة الإمام في قوله: " القلوب وإن كانت محترقةً في حبِّ الله تعـالى فـإنَّ البـيت الغـريب يهـيج مـنها ما لا تهيج تلاوة القرآن، وذلك لوزن الشِّعر ومشاكلته للطِّباع، ولكونه مشاكلاً للطَّبع اقتدر البَشَر على نظم الشِّعر، وأمَّا القرآن فنظمه خـارجٌ عـن أسـاليب الكـلام ومنهاجه، وهو لذلك معجزٌ لا يدخل في قوَّة البَشَر؛ لعدم مشاكلته لطبعه " [2].

وفي سـبيل الاسـتفادة القـصوى من هذا الديوان قمت بتقسيمه كما هو منهج تقسيم الإحـياء، حتـى يجـتمع النَّظير بنظيره، ولا يختلط ما ورد في مقام العادات بما ورد في مقام العبادات، ولا تتداخل المنجيات مع المهلكات، ورتَّبت القطع داخل كل قسم على ترتيب القـوافي، وضـبطت الأبـيات بالضبط التام، ثم وضعت رقمًا وعنوانًا موحيًا لكل بيت أو

---

(1) هذا من كلام الشيخ العيدروس رحمه الله.
(2) إحياء علوم الدين جـ2 ص415.

قطعة، وأضفت ما يوضح المعنى ويبين عن المراد، من نصِّ الإحياء مرموزًا له بـ[إ]، وبجملة مختصرة من عندي مرموزًا لها بـ[ش]، ، وفي الهامش قدمت تفسيرا لما يحتاج إلى تفسير من الكلمات بالإضافة إلى بيان البحر العروضي.

وقد اهتممت بنسبة الأشعار إلى قائليها ما استطعت إلى ذلك سبيلا، ووضعت بعد كلٍّ نسبة المرجع الذي رجعت إليه، أما ما نسبه صاحب الإحياء فقد ذكرت القائل بلا مرجع، وظلَّت بعض الأشعار بلا نسبة.

وبعد ... فقد أُريد لهذا الكتاب أن يكون رحلة سامية في العبادات والعلوم والأخلاق والرقائق، وأن ينتفع به القارئ الكريم ويجد فيه فوائد من الدِّين والأخلاق والعلم والحكمة، في ثوبٍ أدبيٍّ ممتع، ونرجو أن يكون قد تحقَّق ما هدفنا إليه، ونسأل الله التَّوفيق والقبول.

وما توفيقي إلاَّ بالله عليه توكَّلت وإليه أنيب

صالح الشاعر

القاهرة

ربيع الآخر 1430هـ

أبريل 2009م

الربع الأول: ربع العبادات

-1-

فضل العلم [1]

مـا الفخـرُ إلاَّ لأهْـلِ العِلْـم إنَّهُمُ	على الـهُدَى لِمَن اسْتَهْدَى أدِلاَّءُ
وقَـدْرُ كُـلِّ امْـرِئٍ ما كان يُحْسِنُه	والجَاهِلُـون لأهْـل العِلْـمِ أعَـداءُ
ففُـزْ بعِلْـمٍ تَعِـشْ حَـيًّا بِـهِ أَبَـدًا	الـنَّاسُ مَوْتَـى وَأَهْلُ العِلْمِ أحْياءُ

[إ] قـال علي بن أبي طالب رضي الله عنه لكميل: يا كميل، العلم خيرٌ من المال، العلم يحرسـك وأنـت تحـرس المـال، والعلـم حـاكم والمـال محكوم عليه، والمال تنقصه النفقة والعلم يزكو بالإنفاق.

وقـال علـي أيضًا رضي الله عنه: العالم أفضل من الصَّائم القائم المجاهد، وإذا مات العالم ثلم في الإسلام ثلمةً لا يسدُّها إلاَّ خلَفٌ منه.

وقـال أبـو الأسـود: لـيس شيءٌ أعزَّ من العلم، الملوك حكَّام على النَّاس والعلماء حكَّـام علـى الملـوك، وقال ابن عباس رضي الله عنهما: خُيِّر سليمان بن داود ـ عليهما السَّلام ـ بين العلم والمال والملك فاختار العلم، فأُعطي المال والملك معه.

وسـئل ابـن المـبارك: مَـن الـنَّاس؟ فقال: العلماء، قيل: فمَن الملوك؟ قال: الزُّهَّاد، قيل: فمن السفلة؟ قال: الَّذين يأكلون الدُّنيا بالدِّين، ولم يجعل غير العالم من النَّاس؛ لأنَّ الخاصِّيَّة الَّتي يتميَّز بها النَّاس عن سائر البهائم هو العلم؛ فالإنسان إنسانٌ بما هو شريفٌ

---

(1) الإحياء 1/ 14، من البسيط، لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه، ديوانه ص5، أدلاَّء: جمع دليل.

لأجله، وليس ذلك بقوَّة شخصه؛ فإنَّ الجمل أقوى منه، ولا بعظمه؛ فإنَّ الفيل أعظم منه، ولا بشجاعته؛ فإنَّ السَّبع أشجع منه، ولا بأكله؛ فإنَّ الثَّور أوسع بطنًا منه، ولا ليجامع؛ فإنَّ أخسَّ العصافير أقوى على السِّفاد منه، بل لم يُخلق إلاَّ للعلم.

وقال بعض العلماء: ليت شعري، أي شيءٍ أدرك مَن فاته العلم، وأي شيءٍ فاته مَن أدرك العلم، وقال عليه الصَّلاة والسَّلام: "مَن أُوتي القرآن فرأى أنَّ أحدًا أُوتي خيرًا منه فقد حقر ما عظَّم اللهُ تعالى".

[ش] إذا كان لأحدٍ أن يفخر على أحد فالفخر كلُّه لأهل العلم، هم دليل الهداية لِمن أراد الهداية، والمرء يقاس قدره بمقدار ما يحسن عمله، والجاهلون في عداوةٍ دائمة للعلماء، والعلم طريق الحياة الأبديَّة؛ فالعلماء هم الأحياء، أمَّا النَّاس فموتى.

-2-

من آفات العلم (1)

عَجِبْتُ لِمُبْتاعِ الضَّلاَلَةِ بِالْهُدَى ... وَمَنْ يَشْتَرِي دُنْياهُ بِالدِّينِ أَعْجَبُ

وَأَعْجَبُ مِنْ هَذَيْنِ مَنْ باعَ دِينَهُ ... بِدُنْيا سِواهُ فَهْوَ مِنْ ذَيْنِ أَعْجَبُ

[إ] قال رجلٌ لأبي هريرة رضي الله عنه: أريد أن أتعلَّم العلم، وأخاف أن أضيعَه، فقال: كفى بترك العلم إضاعةً له، وقيل لإبراهيم بن عيينة: أيُّ النَّاس أطول ندمًا؟ قال: أمَّا في عاجل الدُّنيا فصانع المعروف إلى مَن لا يشكره، وأمَّا عند الموت فعالِمٌ مفرِّط.

وقال الخليل بن أحمد: الرِّجال أربعة: رجلٌ يدري ويدري أنَّه يدري، فذلك عالِمٌ فاتَّبعوه، ورجلٌ يدري ولا يدري أنَّه يدري، فذلك نائمٌ فأيقظوه، ورجلٌ لا يدري ويدري أنَّه لا يدري، فذلك مسترشدٌ فأرشدوه، ورجلٌ لا يدري ولا يدري أنَّه لا يدري، فذلك جاهلٌ فارفضوه.

---

(1) الإحياء 1/ 79، من الطويل، مبتاع: مشتري.

وقال سفيان الثَّوري رحمه الله: يهتف العلم بالعمل، فإن أجابه وإلاَّ ارتحل.

وقال ابن المبارك: لا يزال المرء عالِمًا ما طلب العلم، فإذا ظنَّ أنَّه قد علِم فقد جهِل.

وقال الفضيل بن عياض رحمه الله: إنِّي لأرحم ثلاثة: عزيز قومٍ ذلَّ، وغنيَّ قومٍ افتقر، وعالِمًا تلعب به الدُّنيا، وقال الحسن: عقوبة العلماء موت القلب، وموت القلب: طلب الدُّنيا بعمل الآخرة.

[ش] مِن العجائب أن يبيع الإنسان الهدى ليشتري الضَّلالة، ويبيع الدِّين ليشتري الدُّنيا، وأعجب من ذلك أن يبيع دينه لمصلحة غيره.

-3-

فساد العالِم [1]

وراعِي الشَّاةِ يحْمِي الذِّئْبَ عَنْها   فَكَـيْفَ إذا الـرُّعاةُ لَهـا ذِئـابُ

[إ] قال يحيى بن معاذ: إنَّما يذهب بهاء العلم والحكمة إذا طُلب بهما الدُّنيا، وقال سعيد بن المسيب رحمه الله: إذا رأيتم العالِم يغشى الأمراء فهو لصٌّ، وقال عمر رضي الله عنه: إذا رأيتم العالِم محبًّا للدُّنيا فاتَّهموه على دينكم؛ فإنَّ كلَّ محبٍّ يخوض فيما أحبَّ.

وقال مالك بن دينار رحمه الله: قرأت في بعض الكتب السَّالفة "إن الله تعالى يقول: إنَّ أهون ما أصنع بالعالِم إذا أحبَّ الدُّنيا أن أُخرج حلاوة مناجاتي من قلبه".

[ش] فساد العلماء أشدُّ من فساد غيرهم، فهم المنتظر منهم الصَّلاح في أنفسهم والإصلاح لغيرهم.

---

(1) الإحياء 1/ 81، من الوافر.

-4-

قيام الليل [1]

يـا طَـويلَ الـرُّقادِ وَالغَفَـلاتِ	كَثْـرَةُ الـنَّوْمِ تُـورِثُ الحَسَراتِ
إنَّ في القَبْــرِ إنْ نَــزَلْتَ إلَــيْهِ	لَـرُقادًا يَطُـولُ بَعْـدَ الْمَمـاتِ
وَمِهــادًا مُمَهَّــدًا لَــكَ فِــيهِ	بِذُنُــوبٍ عَمِلْــتَ أَوْ حَـسَنَاتِ
أَأَمِـنْتَ البَـياتَ مِـنْ مَلكِ الْمَوْ	تِ وَكَــمْ نَــالَ آمِـنًا بِبَــياتِ

[إ] حُكـي أن غلامًـا بالبـصرة اسمه صهيب كان يقوم اللَّيل كلَّه، فقالت له سيِّدته: إنَّ قيامك باللَّيل يضرُّ بعملك بالنَّهار، فقال: إنَّ صهيبًا إذا ذكر النَّار لا يأتيه النَّوم.

[ش] يحـذِّر الـشَّاعر من كثرة النَّوم والغفلة عن الموت وما يتبعه من الحساب، ويتعجَّب كيف يأمن النَّائم من ملك الموت وكم تَوفَّى نائمًا آمنًا.

-5-

علماء الدُّنيا [2]

يا مَعْشَرَ القُرَّاءِ يا مِلْحَ الْبَلَدْ
ما يُصْلحُ المِلْحَ إذا المِلْحُ فَسَدْ؟

[إ] كان يحيى بن معاذ الرازي رحمه الله يقول لعلماء الدنيا: يا أصحاب العلم، قصوركم قيـصريَّة، وبيوتكم كسرويَّة، وأثوابكم ظاهريَّة، وأخفافكم جالوتيَّة، ومراكبكم قارونيَّة، وأوانيكم فرعونيَّة، ومآثمكم جاهليَّة، ومذاهبكم شيطانيَّة، فأين الشَّريعة المحمَّديَّة؟

[ش] الملح يُسمَّى مصلح الطعام، فإذا فسد هذا المصلح فماذا يصلحه؟ كذلك الحال في فساد العلماء حين يطلبون العلم للدنيا لا للآخرة.

---

(1) الإحياء 2/ 39، من الخفيف.
(2) الإحياء 1/ 81، من الرجز.

-6-

طريق الحق [1]

الطُّرْقُ شَتَّى وَطُرْقُ الْحَقِّ مُفْرَدَةٌ وَالسَّالِكُونَ طَرِيقَ الحَقِّ أَفْرادُ

لا يُعْرَفُونَ ولا تُدْرَى مقاصِدُهُمْ فَهُمْ عَلَى مَهَلٍ يَمْشُونَ قُصَّادُ

والنَّاسُ في غَفْلَةٍ عَمَّا يُرادُ بِهِمْ فَجُلُّهُمْ عَنْ سَبِيلِ الحَقِّ رُقَّادُ

[إ] العناية بمقامات القلب وأحواله دأب علماء الآخرة؛ لأنَّ القلب هو السَّاعي إلى قرب الله تعالى، وقد صار هذا الفنُّ غريبًا مندرسًا، وإذا تعرض العالِم لشيءٍ منه استُغرِب واستُبعِد.

وعلى الجملة فلا يميل أكثر الخلق إلاَّ إلى الأسهل والأوفق لطباعهم؛ فإنَّ الحقَّ مُرٌّ، والوقوف عليه صعب، وإدراكه شديد، وطريقه مستوعر، ولا سيَّما معرفة صفات القلب وتطهيره عن الأخلاق المذمومة؛ فإنَّ ذلك نزعٌ للرُّوح على الدَّوام، وصاحبه ينزل منزلة الشَّارب للدَّواء، يصبر على مرارته رجاء الشِّفاء، وينزِّل منزلة مَن جعل مدَّة العمر صومَه، فهو يقاسي الشَّدائد ليكون فطره عند الموت.

[ش] طريق الحقِّ صعبةٌ على النُّفوس، ولا يدركها إلاَّ قليلٌ من النَّاس، وأكثرهم في غفلةٍ عنها.

-7-

شهود الوحدانية [2]

وَفِي كُلِّ شَيْءٍ لَهُ آيَةٌ تَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ الواحِدُ

---

(1) الإحياء 1/ 102، من البسيط، شتَّى: مختلفة متباينة، قُصَّاد: من القصد، وهو استقامة الطريق، أو من القصد بمعنى الاعتدال، خلاف الإفراط.

(2) الإحياء 1/ 135، من المتقارب، لأبي العتاهية، ديوانه ص62.

[إ] كما يُقال: هذه الصَّنعة المحكمة تشهد لصانعها بحسن التَّدبير وكمال العلم، لا بمعنى أنَّها تقول: (أشهد) بالقول، ولكن بالذَّات والحال.

وكذلك ما مِن شيءٍ إلاَّ وهو محتاجٌ في نفسه إلى مُوجدٍ يوجده ويبقيه ويديم أوصافه ويردِّده في أطواره، فهو بحاجته يشهد لخالقه بالتَّقديس، يدرك شهادته ذوو البصائر دون الجامدين على الظَّواهر.

[ش] لله في خلقه شهودٌ ودلائلُ على وحدانيَّته وكمال علمه وقدرته.

-8-

بين الغيب والشهادة [1]

رَقَّ الزُّجاجُ وَرَقَّتِ الْخَمْرُ ... وَتَشابَها فَتَشاكَلَ الأَمْرُ
فَكَأَنَّما خَمْرٌ ولا قَدَحٌ ... وَكَأَنَّما قَدَحٌ ولا خَمْرُ

[إ] يُذكر هذا في بيان تعلُّق الباطن بالظَّاهر، والأعمال بالعقائد والقلوب، فإنَّ ذلك من جنس تعلُّق الملك بالملكوت، والملك هو عالم الشَّهادة المدرَك بالحواسِّ، أمَّا الملكوت فهو عالم الغيب المدرَك بنور البصيرة، والقلب من عالم الملكوت، والأعضاء وأعمالها من عالم الملك، ولطف الارتباط ودقَّته بين العالمين انتهى إلى حدٍّ ظنَّ بعضُ النَّاس اتِّحاد أحدهما بالآخر، وظنَّ آخرون أنَّه لا عالم إلاَّ عالم الشَّهادة، وهو هذه الأجسام المحسوسة، ومَن أدرك الأمرين وأدرك تعددهما ثمَّ ارتباطهما عبَّر عنه بهذا البيت.

[ش] لَمَّا كان الإناء وما يحتويه في غاية الرِّقَّة والشَّفافية، اختلط الأمر على الرَّائي، فكأنه يرى أحدَهما دون الآخر.

---

(1) الإحياء 1/ 161، 2/ 403، 4/ 223، من الكامل، للصاحب بن عباد، يتيمة الدهر 3/ 259.

-9-

حال العابدين [1]

مَـنَعَ القُـرَانُ بِـوَعْدِهِ وَوَعِـيدِهِ   مُقَـلَ العُـيُونِ بِلَيْلِها أَنْ تَهْجَعا
فَهِمُوا عَنِ الْمَلِكِ الجَلِيلِ كَلامَهُ   فَـرِقابُهُمْ ذَلَّـتْ إِلَـيْهِ تَخَـضُّعا

[إ] قيل لغلام وهو يقوم كل اللَّيل، فقال: إذا ذكرت النَّار اشتدَّ خوفي، وإذا ذكرت الجنَّة اشتدَّ شوقي، فلا أقدر أن أنام.

وحُكـي أنَّ بعـض الـصَّالحين رجـع مـن غـزوته فمهَّـدت امرأته فراشها وجلست تنتظـره، فدخل المسجد ولم يزل يصلِّي حتَّى أصبح، فقالت له زوجته: كنَّا ننتظرك مدَّة، فلمَّـا قدمت صليت إلى الصبح قال والله إني كنت أتفكر في حوراء من حور الجنة طول الليل فنسيت الزوجة والمنزل فقمت طول ليلتي شوقا إليها

[ش] إنَّ العابـدين لَمَّـا نظـروا في القـرآن بـوعده ووعـيده امتـنعت عيونهم عن النَّوم، وفهموا عن الله مرادَه فيهم فحقَّقوه بالرُّكوع والسُّجود له.

-10-

أطار الخوف نومهم [2]

إذا مـا اللَّـيلُ أَظْلَـمَ كابَـدُوهُ   فَيُـسْفِرُ عَـنْهُمُ وَهُـمُ رُكُـوعُ
أَطـارَ الخَـوْفُ نَـوْمَهُمُ فَقامُـوا   وَأَهْـلُ الأَمْـنِ في الدُّنـيا هُجُوعُ

[إ] من الأسباب الَّتي تيسِّر قيام اللَّيل: خوفٌ غالبٌ يلزم القلب مع قصر الأمل؛ فإنَّه إذا تفكَّـر في أهـوال الآخـرة ودركات جهنَّم طار نومه، وعظم حذره، كما قال طاوس: إنَّ

---

(1) الإحياء 2/ 39، من الكامل، لذي النون المصري، تهجع: تنام.
(2) الإحياء 2/ 39، من الوافر، لعبد الله بن المبارك، المستطرف 1/ 14، كابدوه: أي سهروا فيه وتعبوا.

ذكر جهنَّم طَيَّر نوم العابدين.

[ش] أهـل العـبادة لا يعرفون النَّوم؛ فهم في خوفٍ دائم يجعلهم يقومون اللَّيل يركعون ويسجدون لله.

-11-

العقل عقلان (1)

رَأَيْـــتُ العَقْـــلَ عَقْلَـــيْنِ   فَمَطْـــبُوعٌ وَمَـــسْمُوعُ
وَلا يَـــــنْفَعُ مَـــــسْمُوعٌ   إذا لَـــمْ يَـــكُ مَطْـــبُوعُ
كَمَـــا لاَ تَـــنْفَعُ الـــشَّمْسُ   وَضَـــوْءُ الْعَـــيْنِ مَمْـــنُوعُ

[إ] العقل اسمٌ يطلق بالاشتراك على أربعة معان: **الأوَّل**: الوصف الَّذي يفارق الإنسان بـه سـائر الـبهائم، **الثَّانـي**: العلـوم الَّـتي تخـرج إلى الوجود في ذات الطِّفل المميِّز، بجواز الجائزات واستحالة المستحيلات، **الثَّالث**: علومٌ تُستفاد من التَّجارب بمجاري الأحوال، **الـرَّابع**: أن تنتهي قوَّة تلك الغريزة إلى أن يعرف عواقب الأمور، ويقمع الشَّهوة الدَّاعية إلى اللَّذَّة العاجلة ويقهرها.

[ش] للإنسان عقـلٌ بالطَّبع وعقـلٌ بالاكتساب، وكلاهمـا لا يصلح بدون الآخر، كما لا يُبصر الأعمى في ضوء الشَّمس.

-12-

علم بلا عمل (2)

مـــا هُـــوَ إلاَّ ذُبالـــةٌ وُقِـــدَتْ   تُـضِيءُ للـنَّاسِ وَهْـيَ تحْتَـرِقُ

---

(1) الإحياء 1/ 112، 3/ 129 من الهزج، لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه، ديوانه ص121.
(2) الإحياء 1/ 74، من المنسرح، الذبالة: الفتيلة التي تُسرج.

[إ] من علم وعمل وعلَّم فهو الَّذي يُدعى عظيمًا في ملكوت السَّماوات؛ فإنَّه كالشَّمس تُضيء لغيرها وهي مضيئةٌ في نفسها، وكالمسك الذي يطيِّب غيره وهو طيِّب.

والذي يعلم ولا يعمل به كالدَّفتر الَّذي يفيد غيره وهو خالٍ عن العلم، وكالْمِسنِّ الَّـذي يـشحذ غـيره ولا يقطـع، والإبـرة الَّتي تكسو غيرها وهي عارية، وذبالة المصباح تضيء لغيرها وهي تحترق.

[ش] لا فضل لمن يفيد غيره ولا يفيد نفسه.

-13-

الناس أعداء ما جهلوا [1]

وَمَـنْ يَـكُ ذا فَـمٍ مُـرٍّ مَـرِيضٍ يَجِـدْ مُـرًّا بِـهِ الْمـاءَ الـزُّلالا

[إ] يستفيد طالب العلم الانفكاك عن عداوة ذلك العلم بسبب جهله؛ فإنَّ النَّاس أعداء ما جهلوا، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا۟ بِهِۦ فَسَيَقُولُونَ هَٰذَآ إِفْكٌ قَدِيمٌ ﴾ [2].

فالعلـوم علـى درجاتها إمَّا سالكةٌ بالعبد إلى الله تعالى، أو معينةٌ على السُّلوك نوعًا مـن الإعانة، ولها منازل مرتَّبةٌ في القرب والبعد من المقصود، والقُوَّام بها حَفَظَةٌ كحُفَّاظ الـرِّباطات والـثُّغور، ولكـلٍّ واحـدٍ رتبةٌ، وله بحسب درجته أجرٌ في الآخرة إذا قصد به وجه الله تعالى.

[ش] قد يعيب الجاهل شيئًا لا عيب فيه، وذلك بسبب انحراف نفسه وجهله بحقيقة ذلك الشَّيء.

---

(1) الإحياء 1/ 70، من الوافر، للمتنبي في ديوانه ص141.

(2) سورة الأحقاف، الآية 11.

-14-

العلم لا التقليد [1]

خُـذْ مـا تَـراهُ وَدَعْ شَيْئًا سَمِعْتَ بِهِ في طَلْعَةِ الشَّمْسِ ما يُغْنِيكَ عَنْ زُحَلِ

[إ] أقسام ما يُتقرَّب به إلى الله تعالى ثلاثة: علمٌ مجرَّد وهو علم المكاشفة، وعملٌ مجرَّد وهو كعدل السُّلطان مثلاً وضبطه للنَّاس، ومركَّب من عمل وعلم، وهو علم طريق الآخرة؛ فإنَّ صاحبه من العلماء والعمَّال جميعًا، فانظر إلى نفسك أتكون يوم القيامة في حزب علماء الله أو عمَّال الله تعالى، أو في حزبيهما فتضرب بسهمك مع كلِّ فريقٍ منهما، فهذا أهمُّ عليك من التَّقليد لمجرَّد الاشتهار.

[ش] الشَّمس بما فيها من نورٍ وحرارةٍ ومنافع أجدى من زحل بما يُنسب إليه من البرودة والظُّلمة والنُّحوسة، وكذلك ينبغي أن يأخذ الإنسان بما هو ظاهرٌ ونافعٌ ومتيقَّن، لا بما هو متوهَّمٌ أو ضارٌّ أو خفيٌّ.

-15-

إقبال وإدبار [2]

رَجُـلانِ: خَـيَّاطٌ وَآخَـرُ حائِـكٌ مُـتقابِلانِ علَى السِّماكِ الأَعْزَلِ
لا زالَ يَنْـسجُ ذاكَ خِـرْقَةَ مُدْبِـرٍ وَيَخِـيطُ صـاحِبُهُ ثِـيابَ المُقْـبِلِ

[إ] قد يكون الشيء بحيث لو ذُكِر صريحًا لفُهِم ولم يكن فيه ضرر، ولكن يُكنى عنه على سبيل الاستعارة والرمز؛ ليكون وقعه في قلب المستمع أغلب، وله مصلحةٌ في أن يعظِّم وقع ذلك الأمر في قلبه، ومن هذا قول الشاعر؛ فإنه عبَّر عن سببٍ سماويٍّ في الإقبال والإدبار برجلين صانعين.

---

(1) الإحياء 1/ 35، من البسيط، للمتنبي في ديوانه ص338 بلفظ (البدر) مكان (الشمس).
(2) الإحياء 1/ 133، من الكامل.

[ش] الأمـور في تدبيرها وتصريفها كمثل رجلين: أحدهما ينسج لشيءٍ ماضٍ، والآخر يخيط لما هو قادم، ومُضيُّ الزَّمان باللَّيل والنَّهار هو حال هذين الرَّجلين.

-16-

لا علم لمتكبر [1]

العِلْـمُ حَـرْبٌ للفتَـى الْمُتَعالِـي كالـسَّيْلِ حَرْبٌ لِلمَكانِ العالِي

[إ] الحكمـة ضـالَّة المـؤمن يغتـنمها حيث يظفر بها، ويتقلَّد المنَّة لمن ساقها إليه كائنًا مَن كان، فلا يُنال العلم إلاَّ بالتَّواضع وإلقاء السَّمع.

فليكن المتعلِّم لمعلِّمه كأرضٍ دمثةٍ نالت مطرًا غزيرًا فتشرَّبت جميع أجزائها وأذعنت بالكلِّـيَّة لقـبوله، ومهما أشار عليه المعلِّم بطريقٍ في التَّعلُّم فليقلِّده وليدع رأيه؛ فإنَّ خطأ مرشـده أنفـع له من صوابه في نفسه؛ إذ التَّجربة تُطلع على دقائق يُستغرب سماعها مع أنَّه يعظم نفعها، فكم من مريضٍ محرورٍ يعالجه الطَّبيب في بعض أوقاته بالحرارة ليزيد في قوَّته إلى حدٍّ يحتمل صدمة العلاج، فيعجب منه مَن لا خبرة له به.

[ش] إنَّ المتكبِّـر لا يـستفيد العلـم ولا ينـتفع به، فالعلم كالسَّيل، يصل إلى المطمئنِّ من الأرض، لا إلى ما علا منها.

-17-

ضياع العلم في غير أهله [2]

أَأَنْثُـرُ دُرًّا بَـيْنَ سَـارِحَةِ الـنَّعَمْ فَأُصْبِحُ مَحْـزُونًا بِـراعِيةِ الغَنَمْ
لأَنَّهُـمُ أَمْـسوا بِجَهْـلٍ لِقَـدْرِهِ فَـلا أَنا أضحى أَنْ أُطَوِّقَهُ البَهَمْ

(1) الإحياء 1/ 68، من الكامل، وعجز البيت مشهور لأبي تمام.
(2) الإحياء 1/ 77، من الطويل، للإمام الشافعي رحمه الله، ديوانه ص87، مع اختلاف يسير.

فَـإِنْ لَطَـفَ اللهُ اللَّطِـيفُ بِلُطْفِهِ وصادَفْتُ أَهْلاً لِلْعُلُومِ وَلِلْحِكَمْ
نَـشَرْتُ مُفِـيدًا وَاسْـتَفَدْتُ مَوَدَّةً وَإِلاَّ فَمَخْـزُونٌ لَـدَيَّ وَمُكْتَـتَمْ
فَمَـنْ مَـنَحَ الجُهَّالَ عِلْمًا أَضاعَهُ وَمَـنْ مَنَعَ المُسْتَوْجِبِينَ فَقَدْ ظَلَمْ

[إ] حفـظ العلم مِمَّن يفسده ويضرُّه أَولى، وليس الظُّلم في إعطاء غير المستحقِّ بأقلَّ من الظُّلم في منع المستحقِّ.

ولا ينبغـي أن يُخـاض مـع العوامِّ في حقائق العلوم الدَّقيقة، بل يُقتصر معهم على تعلـيم العبادات وتعليم الأمانة في الصِّناعات الَّتي هم بصددها، ويملأ قلوبهم من الرَّغبة والـرَّهبة في الجـنَّة والـنَّار كمـا نطق به القرآن، ولا يحرِّك عليهم شبهة؛ فإنَّه ربَّما تعلَّقت الشُّبهة بقلبه ويعسر عليه حلُّها فيشقى ويهلك.

وبالجملـة لا ينبغـي أن يُفتح للعوامِّ بابُ البحث؛ فإنَّه يعطِّل عليهم صناعاتهم الَّتي بها قوام الخلق ودوام عيش الخواصِّ.

[ش] لشرف العلم وكرامته، ينبغي أن لا يُعطى إلا لمن يستوعبه وينتفع به ويعرف قدره.

-18-

الغفلة [1]

يُخَبِّرُنِـي الـبَوَّابُ أَنَّـكَ نـائِمٌ وَأَنْـتَ إِذا اسْتَيْقَظْتَ أَيْضًا فَنائِمُ

[إ] مـن ميـسِّرات قـيام الليل: سلامة القلب عن الحقد على المسلمين، وعن البدع وعن فـضول همـوم الدُّنيا؛ فالمستغرق الهمِّ بتدبير الدُّنيا لا يتيسَّر له القيام، وإن قام فلا يتفكَّر في صلاته إلاَّ في مهمَّاته، ولا يجول إلاَّ في وساوسه.

[ش] الإنسان الغافل كالنَّائم حتَّى ولو كان مستيقظًا، فغفلته تمنعه من رؤية ما ينفعه.

(1) الإحياء 2/ 39، من الطويل.

-19-

وتنسون أنفسكم [1]

لا تَـنْهَ عَـنْ خُلـقٍ وَتَأْتِـيَ مِـثْلَهُ   عـارٌ عَلَـيْكَ إِذا فَعَلْـتَ عَظِـيمُ

[إ] ينبغـي أن يكـون المعلِّـم عـاملاً بعلمـه، فـلا يكـذِّب قـوله فعلـه؛ لأنَّ العلـم يُدرَك بالبـصائر، والعمـل يُـدرَك بالأبـصار، وأربـاب الأبـصار أكثـر، ومثل المعلِّم المرشد من المسترشدين مـثل الـنَّقش من الطِّين والظِّلِّ من العود، فكيف ينتقش الطِّين بما لا نقش فيه؟ ومتى استوى الظِّلُّ والعود أعوج؟

[ش] من العار أن ينهى المرء غيرَه عن الشَّرِّ وهو واقعٌ فيه، أو يأمر بالخير وهو لا يأتيه، فينبغي أن يبدأ النَّاصح بنفسه.

-20-

أفلح الزاهدون [2]

أَفْلَـحَ الـزَّاهِدُونَ والعابِـدُونا   إِذْ لَمَـوْلاهُمُ أَجاعُـوا الـبُطُونا
أَسْـهَرُوا الأَعْـيُنَ العَلِـيلَةَ حُـبًّا   فَانْقَـضَى لَـيْلُهُمْ وَهُـمْ ساهِرُونا
شَـغَلَتْهُمْ عِـبادَةُ اللهِ حَتَّـى   حَـسِبَ الـنَّاسُ أَنَّ فِـيهِمْ جُـنُونا

[إ] مـن آداب الـدُّعاء: التَّوبة وردُّ المظالم، والإقبال على الله عز وجل بكنه الهمَّة، فذلك هو السبب القريب في الإجابة.

ورُوِي أنَّ عيـسى صـلوات الله علـيه وسلامه خرج يستسقي، فلمَّا ضجروا قال لهم عيـسى علـيه الـسَّلام: مَن أصاب منكم ذنبًا فليرجع، فرجعوا كلُّهم ولم يبق معه في المفازة

---

(1) الإحياء 1/ 78، من الكامل، للمتوكل الكناني، المستقصى في أمثال العرب 2/ 260.
(2) الإحياء 1/ 407، من الخفيف.

إلاَّ واحد، فقال له عيسى عليه السَّلام: أما لك من ذنب؟ فقال: والله ما علمت من شيءٍ، غير أنِّي كنت ذات يومٍ أصلِّي، فمرت بي امرأةٌ فنظرت إليها بعيني هذه، فلمَّا جاوزَتْني أدخلتُ أصبعي في عيني فانتزعتُها وتبعت المرأة بها، فقال له عيسى عليه السَّلام: فادعُ الله حتَّى أؤمِّن على دعائك، قال: فدعا فتجلَّلت السَّماء سحابًا ثمَّ صبَّت فسُقُوا.

وقال يحيى الغسَّاني: أصاب النَّاس قحطٌ على عهد داود عليه السَّلام، فاختاروا ثلاثةً من علمائهم فخرجوا حتَّى يستسقوا بهم، فقال أحدهم: اللَّهمَّ إنَّك أنزلت في توراتك أن نعفو عمَّن ظلمنا، اللهمَّ إنَّا قد ظلمنا أنفسنا فاعف عنَّا، وقال الثَّاني: اللَّهمَّ إنَّك أنزلت في توراتك أن نُعتق أرقَّاءنا، اللَّهمَّ إنَّا أرقَّاؤك فأعتقنا، وقال الثَّالث: اللَّهمَّ إنَّك أنزلت في توراتك أن لا نردَّ المساكين إذا وقفوا بأبوابنا، اللهمَّ إنَّا مساكينك وقفنا ببابك فلا تردَّ دعاءنا، فسُقُوا.

[ش] الزاهدون والعابدون هم المفلحون؛ حيث تركوا لذَّتهم من الطَّعام والنَّوم، وانشغلوا بعبادة الله حتَّى ظنَّهم النَّاس مجانين لما هم فيه من ترك الدُّنيا.

-21-

تنبَّه من منامك (1)

أَأَلْهَتْكَ اللَّذائِذُ والأَمانِي	عَنِ البِيضِ الأوانِسِ في الجِنانِ
تَعِيشُ مُخَلَّدًا لا مَوْتَ فِيها	وتَلْهُو في الجِنانِ مَعَ الْحِسانِ
تَنَبَّهْ مِنْ مَنامِكَ إِنَّ خَيْرًا	مِنَ النَّوْمِ التَّهَجُّدُ بِالقُرَانِ

[إ] قال مالك بن دينار: سهرت ليلةً عن وِردي ونمت، فإذا أنا في المنام بجاريةٍ كأحسن ما يكون، وفي يدها رقعة، فقالت لي: أتُحسِن تقرأ؟ فقلت: نعم، فدفعت إليَّ الرقعة فإذا فيها هذه الأبيات.

(1) الإحياء 1/37، من الوافر.

[ش] ملذَّات الدُّنيا وأمانيها قد تشغل الإنسان عن العمل للآخرة وما فيها من الخلود في جنَّة النَّعيم، فينبغي أن يتنبَّه من غفلته ومنامه وينشغل بالعمل لها.

-22-

ابدأ بنفسك [(1)]

يـا واعِظَ النَّاسِ قَدْ أَصْبَحْتَ مُتَّهَمًا	إِذْ عِـبْتَ مِنْهُمْ أُمورًا أَنْتَ تَأْتِيها
أَصْـبَحْتَ تَنْـصَحُهُمْ بِالوَعْظِ مجْتَهِدًا	فالْمُـوبِقاتُ لَعَمْـرِي أَنْتَ جانِيها
تَعِـيبُ دُنْـيا وناسًـا راغِـبِينَ لَهـا	وَأَنْـتَ أَكْثَـرُ مِـنْهُمْ رَغْـبَةً فِـيها

[إ] قـال حـاتم الأصـمُّ رحمه الله تعالى: ليس في القيامة أشدُّ حسرةً من رجلٍ علَّم النَّاس علمًـا فعملـوا بـه ولم يعمـل هـو به، ففازوا بسببه وهلك هو، وقال مالك بن دينار: إنَّ العالم إذا لم يعمل بعلمه زلَّت موعظته عن القلوب كما يزلُّ القطر عن الصَّفا.

[ش] عارٌ عليك إذا أصبحت تعظ النَّاس وتنصحهم ومع ذلك ترتكب الذُّنوب المهلكة، وتعيب رغبتهم في الدُّنيا وأنت راغبٌ فيها أكثر منهم.

-23-

عرفت الشر [(2)]

عَـرَفْتُ الـشَّرَّ لا لِلـشَّـ	ـــرِّ لَكِـــنْ لِتَوَقِّــيهِ
وَمَـــنْ لا يَعْـــرِفِ الـــشَّرَّ	مِـنَ الـنَّاسِ يَقَـعْ فِـيهِ

[إ] من أدب المرشد للعلم: أن يكون أكثر بحثه عن علم الأعمال وعمًّا يفسدها ويشوِّش القلوب ويهيج الوسواس ويثير الشَّرَّ؛ فإنَّ أصل الدِّين التَّوقِّي من الشَّرِّ.

---

(1) الإحياء 1/ 84، من البسيط، والبيت الأول وحده في ديوان أبي العتاهية ص247.

(2) الإحياء 1/ 101، من الهزج، لأبي فراس الحمداني، يتيمة الدهر 1/ 60.

[ش] عرفت الشر لأتجنَّبه، فأكثر مَن يقع في الشر إنَّما يقع عن جهلٍ به.

-24-

عقابه فيه [1]

وَارْضَ لِمَنْ غابَ عَنْكَ غَيْبَتَهُ فَـذاكَ ذَنْـبٌ عِقابُـهُ فِـيهِ

[إ] علـم المكاشـفة نـورٌ يظهـر في القلـب عند تطهيره وتزكيته من صفاته المذمومة، وينكـشف من ذلك النُّور أمورٌ كثيرةٌ كان يسمع من قبل أسماءها فيتوهَّم لها معاني مجمَلـة غـير متَّضحة، فتتَّضح إذ ذاك حتَّى تحصل المعرفة الحقيقيَّة بذات الله سبحانه، وبصفاته الباقيات التَّامَّات، وبأفعاله، وبحكمه في خلق الدُّنيا والآخرة، ووجه ترتيبه للآخـرة على الدُّنيا، والمعرفة بمعنى النُّبوَّة والنَّبيِّ، ومعنى الوحي، ومعنى الشَّيطان، ومعنـى لفـظ الملائكـة والـشَّياطين، وكيفيَّة معاداة الشَّياطين للإنسان، وكيفية ظهور الملك للأنبياء، وكيفية وصول الوحي إليهم، والمعرفة بملكوت السَّماوات والأرض، ومعـرفة القلب وكيفية تصادُم جنود الملائكة والشَّياطين فيه، ومعرفة الفرق بين لَمَّة الملـك ولَمَّـة الـشَّيطان، ومعـرفة الآخـرة، والجنَّة والنَّار، وعذاب القبر، والصِّراط، والميزان، والحساب ...

وهذه هي العلوم التي لا تسطَّر في الكتب، ولا يتحدَّث بها مَن أنعم الله عليه بشيءٍ منها إلاَّ مع أهله، وهو المشارك فيه على سبيل المذاكرة وبطريق الأسرار، وهذا هو العلم الخفيُّ الَّذي أراده صلى الله عليه وسلم بقوله: "إنَّ من العلم كهيئة المكنون لا يعلمه إلاَّ أهـل المعـرفة بـالله تعـالى، فإذا نطقوا به لم يجهله إلاَّ أهل الاغترار بالله تعالى، فلا تحقروا عالِمًا آتاه الله تعالى علمًا منه؛ فإنَّ الله عز وجل لم يحقره إذ آتاه إيَّاه".

---

(1) الإحياء 1/ 30، من المنسرح.

وهـو [أي علـم المكاشـفة] غايـة العلـوم، فقـد قال بعض العارفين: مَن لم يكن له نـصيبٌ مـن هذا العلم أخاف عليه سوء الخاتمة، وأدنى نصيبٍ منه التَّصديق به وتسليمه لأهلـه، وقـيل: مـن كان محبًّا للدنيا أو مصرًّا على هوى لم يتحقق به، وقد يتحقَّق بسائر العلوم، وأقلُّ عقوبة مَن ينكره أنَّه لا يذوق منه شيئًا.

[ش] مَن غاب عن ما فيه منفعته فغيابه هو جزاؤه، والذَّنب نفسه هو العقوبة .

الربع الثاني: ربع العادات

-25-

جزاء المعصية [1]

بِطُورِ سَيْناءَ كَرْمٌ ما مَرَرْتُ بِهِ إلاَّ تَعَجَّبْتُ مِمَّنْ يَشْرَبُ الْماءَ
وفِي جَهَنَّمَ ماءٌ ما تَجَرَّعَهُ خَلْقٌ فَأَبْقَى لَهُ فِي الجَوْفِ أَمْعاءَ

[إ] روي عن محمَّد بن مسروق البغدادي أنَّه قال: خرجت ليلةً في أيَّام جهالتي وأنا نشوان، وكنت أغنِّي هذا البيت [الأوَّل]، فسمعت قائلاً يقول [البيت الثَّاني]، قال: فكان ذلك سبب توبتي واشتغالي بالعلم والعبادة.

[ش] لكلِّ لذَّة محرَّمة في الدنيا ما يعادلها من العذاب في الآخرة.

-26-

حال الدنيا [2]

وِدادُكُمُ هَجْرٌ وَحُبُّكُمُ قِلًى وَوَصْلُكُمُ صَرْمٌ وَسِلْمُكُمُ حَرْبُ

[إ] كان الشِّبلي رحمه الله كثيرًا ما يتواجد على هذا البيت، وهذا البيت يمكن سماعه على وجوه مختلفة، بعضها حقٌّ وبعضها باطل، وأظهرها أن يُفهم هذا في الخلق، بل في الدُّنيا بأسرها، بل في كلِّ ما سوى الله تعالى؛ فإنَّ الدُّنيا مكَّارةٌ خدَّاعة، قتَّالةٌ لأربابها، معاديةٌ لهم في الباطن، ومظهرةٌ صورةَ الودِّ.

---

(1) الإحياء 2/ 405، من البسيط.
(2) الإحياء 2/ 401، من الطويل، وهو للعبَّاس بن الأحنف باختلاف في اللفظ، يتيمة الدهر 1/ 194، القِلى: البغض، الصرم: القطيعة.

[ش] إذا كان الوداد هجرًا والحبُّ بغضًا والوصل قطيعةً والسِّلم حربًا، فلا ينبغي لعاقلٍ أن يأمن لأحدٍ أو لشيءٍ هذه صفته.

-27-

حقُّ الصحبة [1]

وَلَسْتَ بِمُسْتَبْقٍ أَخًا لاَ تَلُمُّهُ   عَلَى شَعَثٍ، أيُّ الرِّجالِ الْمُهَذَّبُ!

[إ] قال أبو سليمان الدَّاراني لأحمد بن أبي الحوارى: إذا واخيت أحدًا في هذا الزَّمان فلا تعاتبه على ما تكرهه؛ فإنَّك لا تأمن أن ترى في جوابك ما هو شرٌّ من الأول، قال: فجرَّبته فوجدته كذلك.

[ش] الصَّديق يقبل صديقه على عيبه؛ فلا أحد من غير عيوب، وإذا لم يتغاضَ الصَّديق عن بعض عيوب صديقه فالأمر بينهما إلى قطيعةٍ وبغض.

-28-

حقُّ الزوج [2]

خُذِي الْعَفْوَ مِنِّي تَسْتَدِيمِي مَوَدَّتِي   وَلا تَنْطِقِي في سَوْرَتِي حِينَ أَغْضَبُ

وَلاَ تَنْقُرِينِي نَقْرَكِ الدُّفَّ مَرَّةً   فَإِنَّكِ لا تَدْرِينَ كَيْفَ الْمُغَيَّبُ

وَلاَ تُكْثِرِي الشَّكْوَى فَتَذْهَبَ بِالْهَوَى   وَيَأْبَاكِ قَلْبِي وَالْقُلُوبُ تُقَلَّبُ

فَإِنِّي رَأَيْتُ الْحُبَّ في القَلْبِ وَالأَذَى   إذا اجْتَمَعا لَمْ يَلْبَثِ الحُبُّ يَذْهَبُ

[إ] روي أن أسماء بن [3] خارجة الفزاري قال لابنته عند التزوج: إنكِ خرجتِ من

---

(1) الإحياء 2/ 277، من الطويل، وهو للنابغة الذبياني، ديوانه ص28.

(2) الإحياء 2/ 120، من الطويل، لأسماء بن خارجة الفزاري في الأغاني 20/ 376، عدا الثالث.

(3) في الإحياء (بنت)، وأسماء هو صاحب الشعر، وقد زوج هندًا ابنته للحجاج بن يوسف وقال لها: "يا بنية، إن الأمهات يؤدبن البنات، وإن أمك هلكت وأنتِ صغيرة ..." الأغاني 20/ 377.

العشِّ الذي فيه درجتِ، صرتِ إلى فراش لم تعرفيه، وقرين لم تألفيه، فكوني له أرضًا يكن لكِ سماءً، وكوني له مهادًا يكن لكِ عمادًا، وكوني له أَمَةً يكن لكِ عبدا، لا تُلحفي به فيقلاكِ، ولا تَباعدي عنه فينساكِ، إن دنا منكِ فاقربي منه، وإن نأى فابعدي عنه، واحفظي أنفه وسمعه وعينه، فلا يشمَّنَّ منكِ إلاَّ طيِّبًا، ولا يسمع إلاَّ حسنًا، ولا ينظر إلاَّ جميلاً.

[ش] هذه الوصايا في العِشرة بين الأزواج جديرة بتحقيق السَّعادة للطرفين.

-29-

ساعة وساعة [1]

وَلله مِنِّي جانِبٌ لاَ أُضِيعُهُ   وَلِلَّهْوِ مِنِّي وَالبَطالِةِ جانِبُ

[إ] قال الأصمعي: رأيت في البادية امرأةً عليها قميصٌ أحمر وهي مختضبة، وبيدها سبحة، فقلت: ما أبعد هذا من هذا، فقالت [البيت]، فعلمت أنَّها امرأةٌ صالحة لها زوجٌ تتزيَّن له.

[ش] ينبغي أن يُعطي المؤمن لكلِّ ذي حقٍّ حقَّه ، ومن ذلك الموازنة بين حقِّ الشَّرع وفرائضه من جهة وحظِّ النَّفس من اللَّهو المباح من جهةٍ أخرى.

-30-

فرقة الأحباب [2]

وَجَدْتُ مُصِيبات الزَّمانِ جميعَها   سِوَى فُرْقَةِ الأَحْبابِ هَيِّنَةَ الْخَطْبِ

[إ] من آثار الصِّدق والإخلاص وتمام الوفاء: أن تكون شديدَ الجزع من المفارقة، نفورَ

(1) الإحياء 2/ 121، من الطويل.
(2) الإحياء 2/ 280، من الطويل، لقيس بن ذريح في الأغاني 9/ 220 باختلاف يسير في اللفظ

الطَّبع عن أسبابها.

[ش] فرقة الأحباب أكبر مصيبة، وكلُّ شيءٍ سواها هيِّن.

-31-

أصل العداوة [1]

عَـدُوُّكَ مِنْ صَدِيقِكَ مُسْتفادٌ   فَـلا تَـسْتَكْثِرَنَّ مِـنَ الصِّحابِ
فَـإِنَّ الـدَّاءَ أَكْثَـرَ مـا تَـراهُ   يَكُـونُ مِنَ الطَّعامِ أَوِ الشَّرابِ

[إ] قـال عمرو بن العاص: كثرة الأصدقاء كثرة الغرماء، وقال الشَّافعي رحمه الله: أصل كلِّ عداوةٍ اصطناع المعروف إلى اللِّئام.

[ش] قد يتحوَّل الصَّديق إلى عدوٍّ كما يتحوَّل الطَّعام والشَّراب إلى داء.

-32-

أهل هذا الزمان [2]

ذَهَـبَ الَّـذِينَ يُعاشُ فِي أَكْنافِهِمْ   وَبَقِيتُ فِي خَلَفٍ كَجِلْدِ الأَجْرَبِ

[ش] ولَّى الصَّالحون من النَّاس الَّذين تمكن معاشرتهم، ولم يبق إلاَّ مَن تجنُّبه أولى من مخالطته.

-33-

الداء والدواء [3]

وَكَـأْسٍ شَـرِبْتُ عَلَـى لَـذَّةٍ   وَأُخْرَى تَداوَيْتُ مِنْها بِها

(1) الإحياء 2/ 337، من الوافر، لابن الرومي.
(2) الإحياء 2/ 382، من الكامل، للبيد بن ربيعة، ديوانه ص36.
(3) الإحياء 2/ 410، من المتقارب.

[إ] قال الجنيد: دخلت على سري السَّقطي، فرأيت بين يديه رجلاً قد غُشي عليه، فقال لي: هذا رجل قد سمع آيةً من القرآن فغشي عليه، فقلت: اقرؤوا عليه تلك الآية بعينها، فقرئت فأفاق، فقال: من أين قلت هذا؟ فقلت: رأيت يعقوب عليه السَّلام كان عماه من أجل مخلوق، فبمخلوقٍ أبصر، ولو كان عماه من أجل الحقِّ ما أبصر بمخلوق، فاستحسن ذلك.

[ش] قد يكون الدَّواء من جنس الدَّاء.

-34-

قلة الهم [1]

قَلِيلُ الْهَمِّ،لا وَلَدٌ يَمُوتُ وَلاَ أَمْرٌ يُحاذِرُهُ يَفُوتُ
قَضَى وَطَرَ الصِّبا وَأَفادَ عِلْمًا فَغايَتُهُ التَّفَرُّدُ وَالسُّكُوتُ

[إ] قال سفيان الثَّوري: هذا وقت السُّكوت، وملازمة البيوت، وقال إبراهيم النَّخعي لرجل: تفقَّهْ ثمَّ اعتزِلْ.

[ش] اختار بعض السَّلف الصَّالح العزلة وفضَّلها على المخالطة، وبعضهم فضَّل المخالطة، ولكلٍّ من الفريقين حججٌ وأدلَّة، ولكلٍّ من العزلة والمخالطة فوائد، وخير الأمور الوسط .

-35-

ضرر النصيحة [2]

وَكَمْ سُقْتُ في آثارِكُمْ مِنْ نَصِيحَةٍ وَقَدْ يَسْتَفِيدُ البغْضَةَ الْمُتَنَصِّحُ

---

(1) الإحياء 2/ 322، من الوافر، منسوب لشاب من العلوية، ونحوه في ديوان الإمام الشافعي ص25.
(2) الإحياء 2/ 330، من الطويل.

[إ] في الأمـر بالمعـروف والنَّهـي عـن المنكر إثارةٌ للخصومات، وتحريكٌ لغوائل الصُّدور، ومـن جـرَّب الأمـر بالمعروف ندم عليه غالبًا؛ فإنَّه كجدارٍ مائلٍ يريد الإنسان أن يقيمه فيوشك أن يـسقط علـيه، فـإذا سـقط عليه يقول: يا ليتني تركته مائلاً، نعم لو وجد أعوانًا أمسكوا الحائط حتَّى يُحكمه بدعامة لاستقام، وأنت اليوم لا تجد الأعوان، فدعهم وانج بنفسك.

[ش] ينبغي لمن كان ضعيفًا أن يترك نصيحة النَّاس؛ لما تجلبه النَّصيحة من العداوة والبغضاء.

-36-

وصف الدنيا (1)

تَـنَحَّ عَـنِ الدُّنْـيا فَـلا تَخْطِبَـنَّها وَلا تَخْطِـبَنْ قَـتَّالَةً مَـنْ تُـناكِحُ

فَلَـيْسَ يَفِـي مَـرْجُوُّها بِمَخُـوفِها وَمَكْـرُوهُها ـ إِمَّـا تَأَمَّلْـتَ ـ راجِـحُ

لَقَـدْ قـالَ فِـيها الواصِـفُونَ فَأَكْثَـرُوا وَعِـنْدِي لَها وَصْفٌ ـ لَعَمْرِيَ ـ صالِحُ

سُـلافٌ قُـصاراها زعـافٌ، وَمَـرْكَبٌ شَـهِيٌّ إذا اسْـتَذْلَلْتَهُ فَهْـوَ جـامِحُ

وَشَـخْصٌ جمِـيلٌ يُؤْثِـرُ الـنَّاسُ حُـسْنَهُ وَلَكِـنْ لَـهُ أَسْـرارُ سُـوءٍ قَـبائِحُ

[إ] في الخبر عن الدُّنيا "ما امتلأت منها دارٌ حبرة إلا امتلأت عَبرة".

[ش] طـبع الدنـيا الـتقلُّب والغـدر بأهلـها، وهـي كالخمـر تُغري وفيها السُّمُّ والهلاك، وكالدَّابَّة تحسبها ذلولاً وهي جامحة، أو كشخصٍ جميلٍ في مظهره، قبيح في أفعاله.

-37-

فضل العزوبة (2)

يـا حَـبَّذا العُـزْبَةُ وَالْمِفْـتاحُ

(1) الإحياء 2/ 402، من الطويل، وقد نسبه إلى الثعلبي.

(2) الإحياء 2/ 88، من الرجز، أورده الغزالي منسوبًا إلى سفيان الثوري، العُزبة: عدم الزواج.

وَمَـــسْكَنٌ تَـخْــرِقُهُ الــرِّياحُ
لا صَــخَبٌ فِــيهِ ولا صِــياحُ

[إ] قال عليه الصَّلاة والسَّلام: "كفى بالمرء إثمًا أن يضيِّع مَن يعول"، ورُوي أن الهارب من عياله بمنزلة العبد الهارب الآبق، والإنسان قد يعجز عن القيام بحقِّ نفسه، وإذا تزوَّج تـضاعف علـيه الحقُّ وانضافت إلى نفسه نفسٌ أخرى، والنَّفس أمَّارةٌ بالسُّوء، إن كثرت كثـر الأمـر بالـسُّوء غالـبًا، ولـذاك اعـتذر بعـضهم من التَّزويج وقال: أنا مُبتلى بنفسي وكيف أضيف إليها نفسًا أخرى؟

[ش] اعتذر بعض السَّلف عن الزَّواج خوفًا من التَّقصير عن القيام بحقِّ الزَّوجة والصَّبر على أخلاقها واحتمال الأذى منها، ففضَّلوا العزوبة.

-38-

معنى الحب (1)

أُريـدُ وِصـالَهُ وَيُرِيدُ هَجْرِي   فَأَتْـرُكُ مـا أُرِيـدُ لِمـا يُرِيدُ

[إ] قد يغلب الحبُّ بحيث لا يبقى في النفس حظٌّ إلاَّ فيما هو حظُّ المحبوب.

[ش] إذا بلغ الحبُّ مبلغه غلبت إرادة المحبوب وانتفت إرادة الْمُحِب.

-39-

الأنس بالوحدة (2)

مَـنْ حَمِـدَ الـنَّاسَ وَلَـمْ يَبْلُهُمْ   ثُــمَّ بَلاهُــمْ ذَمَّ مَــنْ يَحْمَـدُ
وَصــارَ بِالــوحْدَةِ مُسْتَأْنِــسًا   يُوحِـشُهُ الأَقْـرَبُ وَالأَبْعَـدُ

(1) الإحياء 2/ 253، 4/ 402، من الوافر.
(2) الإحياء 2/ 336، من السريع.

[إ] قـال عمر رضي الله عنه: في العزلة راحةٌ من قرين السُّوء، وقيل لعبد الله بن الزُّبير: ألا تأتي المدينة؟ فقال: ما بقي فيها إلا حاسد نعمة، أو فرحٌ بنقمة.

[ش] مَن عرف النَّاس وشاهد عيوبهم وجد راحته في الوحدة والعزلة.

-40-

العمر أقصر (1)

خُـذْ مِـنْ خَلِـيلِكَ ما صَفا ... ودَعِ الَّـذِي فِـيهِ الكَـدَرْ
فَالْعُمْـرُ أَقْـصَرُ مِـنْ مُعـا ... تَـبَةِ الْخَلِـيلِ عَلَـى الغِيَـرْ

[إ] مهمـا اعـتذر إلـيك أخوك ـ كاذبًا كان أو صادقًا ـ فاقبل عذره، قال صلَّى الله عليه وسلَّم : " من اعتذر إليه أخوه فلم يقبل عذره فعليه مثلُ إثم صاحب المكس " .

[ش] العـتاب لا يفـيد، ومـن الخير للإنـسان أن يقبل الحسن من صفات أخيه ويغضَّ الطَّرف عن السَّيِّء منها.

-41-

كتمان السر (2)

وَمُـسْتَوْدِعِي سِـرًّا تَـبَوَّأْتُ كَـتْمَهُ ... فَأَوْدَعْـتُهُ صَـدْرِي فَـصارَ لَـهُ قَبْـرا

*

وَمـا الـسِّرُّ في صَـدْرِي كَـثاوٍ بِقَبْرِهِ ... لأَنِّـي أَرَى الْمَقْـبُورَ يَنْتَظِـرُ النَّشْرا
وَلَكِنَّنِـــي أَنْــساهُ حَتَّـــى كَأَنَّنِـــي ... بِمـا كـانَ مِـنْهُ لَمْ أُحِطْ ساعَةً خُبْرا

(1) الإحياء 2/ 276، من الكامل.

(2) الإحـياء 2/ 269، مـن الطـويل، البـيت الأول لابـن المعتز، وفي صبح الأعشى 1/ 107 البيت الأول لعبد الله بن طاهر والبيتان بعده لابنه عبيد الله، مع اختلاف في اللفظ، ولم يذكر الرابع.

وَلَوْ جازَ كَتْمُ السِّرِّ بَيْنِي وَبَيْنَهُ عَنِ السِّرِّ والأَحْشاءِ لَمْ تَعْلَمِ السِّرَّا

[إ] قيل: صدور الأحرار قبور الأسرار، وقيل: إنَّ قلب الأحمق في فيه، ولسان العاقل في قلبه، أي لا يستطيع الأحمق إخفاء ما في نفسه فيبديه من حيث لايدري به، فمن هذا يجب مقاطعة الحمقى، والتَّوقِّي عن صحبتهم، بل عن مشاهدتهم، وقد قيل لآخر: كيف تحفظ السِّرَّ؟ قال: أجحد المخبر، وأحلف للمستخبر، وقال آخر: أستره، وأستر أنِّي أستره.

-42-

غلبة الحب (1)

أَمُرُّ عَلَى الدِّيارِ دِيارَ لَيْلَى أُقَبِّلُ ذا الْجِدارَ وذا الْجِدارا
وما حُبُّ الدِّيارِ شَغَفْنَ قَلْبِي وَلَكِنْ حُبُّ مَنْ سَكَنَ الدِّيارا

[إ] من آثار غلبة الحب أن يتعدَّى من المحبوب إلى كل من يتعلَّق بالمحبوب ويناسبه ولو من بُعد؛ فمَن أحبَّ إنسانًا حبًّا شديدًا أحبَّ محبَّ ذلك الإنسان، وأحبَّ محبوبه، وأحبَّ مَن يخدمه، وأحبَّ مَن يثني عليه محبوبه، وأحبَّ مَن يتسارع إلى رضا محبوبه.

[ش] لَمَّا كان الحبُّ غالبًا على المحِبِّ، امتدَّ إلى كلِّ ما يتعلَّق بالمحبوب.

-43-

لا يستوون (2)

النَّاسُ شَتَّى إذا ما أَنْتَ ذُقْتَهُمُ لا يَسْتَوُونَ كَما لا يَسْتَوِي الشَّجَرُ
هَذا لَهُ ثَمَرٌ حُلْوٌ مَذاقَتُهُ وَذاكَ لَيْسَ لَهُ طَعْمٌ ولا ثَمَرُ

---

(1) الإحياء 2/ 251، من الوافر، لمجنون بني عامر.
(2) الإحياء 2/ 261، من البسيط.

[إ] قـال بشر: الإخوان ثلاثة: أخٌ لآخرتك، وأخٌ لدنياك، وأخٌ لتأنس به، وقلَّما تجتمع هـذه المقاصـد في واحد، وقد قال المأمون: الإخوان ثلاثة: أحدهم مثله مثل الغذاء لا يُـستغنى عـنه، والآخر مثله مثل الدَّواء يُحتاج إليه في وقتٍ دون وقت، والثَّالث مثله مثل الدَّاء لا يُحتاج إليه قطُّ، ولكنَّ العبد قد يُبتلى به، وهو الَّذي لا أنس فيه ولا نفع.

[ش] يختلف النَّاس في طبائعهم كما تختلف الأشجار في أشكالها وطعومها.

-44-

رضا الناس (1)

مَـنْ راقَبَ النَّاسَ ماتَ غَمًّا وفـــازَ بِاللَّـــذَّةِ الْجَـــسُورُ

[إ] إنَّ الَّذي شغل نفسه بطلب رضا النَّاس عنه، وتحسين اعتقادهم فيه مغرور؛ لأنَّه لـو عـرف الله حـقَّ المعـرفة، علـم أنَّ الخلق لا يغنون عنه من الله شيئًا، وأنَّ ضرره ونفعه بيد الله، ولا نافع ولا ضارَّ سواه، وأنَّ مَن طلب رضا النَّاس ومحبَّتهم بسخط الله، سـخط الله علـيه وأسخط عليه النَّاس، بل رضا النَّاس غايةٌ لا تنال، فرضا الله أَولى بالطَّلب.

[ش] مَن كان همُّه إرضاء النَّاس مات حسرةً وغمًّا، ولا ينال حاجته إلا مَن كان جريئًا لا يخشى أحدا.

-45-

الذُّلُ في الطَّمع (2)

إِذا كـانَ بـابُ الذُّلِّ مِنْ جانِبِ الغِنَى سَمَوْتُ إِلَى الْعَلْياءِ مِنْ جانِبِ الفَقْرِ

(1) الإحياء 2/ 344، من البسيط، لسلم الخاسر، صبح الأعشى 2/ 291.
(2) الإحياء 2/ 337، من الطويل، لابن الأعرابي.

[إ] مـن فـوائد العزلة: أن ينقطع طمع النَّاس عنك وينقطع طمعك عن النَّاس؛ فإنَّ مَن نظـر إلى زهـرة الدُّنـيا وزينـتها تحرَّك حرصه، وانبعث بقوَّة الحرص طمعه، ولا يرى إلاَّ الخيبة في أكثر الأحوال فيتأذَّى بذلك.

[ش] لـيس كـل مَـن طلـب الدُّنيا تتيسَّر له، والطَّمع في الغنى يوجب الذُّلَّ، بإيثار متاع الدُّنيا على ذكر الله تعالى والتَّقرُّب إليه.

-46-

الحياة تلهي (1)

وَتُلْهِيكَ عَنْ دارِ الخُلُودِ مَطاعِمٌ   وَلَـذَّةُ نَفْسٍ غَـيُّها غَيْـرُ نافعِ

[ش] تلهـيك شـهوات الـنَّفس واللَّذائذُ الدُّنيويَّة عن الآخرة، ولن تنفع تلك الشَّهوات واللَّذائذ في دار الخلود.

-47-

حقُ الأخوَّة (2)

إنَّ أَخـاكَ الْحَـقَّ مَـنْ كانَ مَعَكْ
وَمَـــنْ يَـــضُرُّ نَفْـــسَهُ لِيَـــنْفَعَكْ
وَمَـنْ إذا ريـبُ زَمـانٍ صَـدَّعَكْ
شَـــتَّتَ فِـــيهِ شَـــمْلَهُ لِـــيَجْمَعَكْ

[إ] قـال بعـض الأدباء: لا تصحب من النَّاس إلاَّ مَن يكتم سرَّك، ويستر عيبك، فيكون معـك في النَّوائب، ويؤثرك بالرَّغائب، وينشر حسنتك، ويطوي سيِّئتك، فإن لم تجده فلا

(1) الإحياء 2/ 406، من الطويل.
(2) الإحياء 2/ 260، من الرجز، للإمام علي رضي الله عنه، وهو في ديوانه ص162.

تصحب إلاَّ نفسك.

[ش] مَن صدق في أخوَّة إنسان كان معينًا له، يفعل ما فيه نفعه ولو على حساب نفسه.

-48-

مَحَكُ الوَرَع [1]

لا يَغُـرَّنْكَ مِـنْ الْمَـرْ	ءِ قَمِـيصٌ رَقَعَـهْ
أَوْ إِزارٌ فَـوْقَ كَعْـبِ الـ	ـسَّـاقِ مِـنْهُ رَفَعَـهْ
أَوْ جَـبِينٌ لاحَ فِـيهِ	أَثَـرٌ قَـدْ قَلَعَـهْ
وَلَـدَى الـدِّرْهَمِ فَانْظُـرْ	غَـيَّهُ أَوْ وَرَعَـهْ

[إ] شهد عند عمر ـ رضي الله عنه ـ شاهد، فقال: ائتني بِمَن يعرفك، فأتاه برجلٍ فأثنى عليه خيرًا، فقال له عمر: أنت جاره الأدنى الَّذي يعرف مَدخله ومخرجه؟ قال: لا، فقال: كنت رفيقه في السَّفر الَّذي يُستدلُّ به على مكارم الأخلاق؟ فقال: لا، قال: فعاملته بالدِّينار والدِّرهم الَّذي يستبين به ورع الرَّجل؟ قال: لا، قال: أظنُّك رأيته في المسجد يهمهم بالقرآن يخفض رأسه طورًا ويرفعه أخرى؟ قال: نعم، فقال: اذهب فلست تعرفه، وقال للرجل: اذهب فائتني بِمَن يعرفك.

[ش] يُستدل على دين الرجل وأخلاقه بالمعاملة في المال، لا بمظاهر التعبُّد.

-49-

أصل الألفة [2]

وَقائِـل: كَـيْفَ تَفارَقْـتُما	فَقُلْـتُ قَـوْلاً فِـيهِ إِنْـصافُ

(1) الإحياء 2/ 151، 4/ 7، من الرمل.
(2) الإحياء 2/ 249، من السريع.

لَـمْ يَكُ مِنْ شَكْلِي فَفارَقْتُهُ　　وَالـــنَّاسُ أَشْـــكالٌ وَأُلاَّفُ

[إ] قال بعض الحكماء: كلُّ إنسانٍ يأنس إلى شكله كما أنَّ كلَّ طيرٍ يطير مع جنسه، وإذا اصطحب اثنان برهةً من زمان ولم يتشاكلا في الحال، فلا بدَّ أن يفترقا.

[ش] أصل الألفة المشاكلة، والطُّيور على أشكالها تقع.

-50-

الصديق الحقيقي (1)

كَـــمْ صَـــدِيقٍ عَـــرَفْتُهُ بِـــصَدِيقِ　　صـارَ أَحْظَى مِنَ الصَّدِيقِ العَتِيقِ

وَرَفِـــيقٍ رَأَيْـــتُهُ في طَـــرِيقِ　　صارَ عِنْدِي هُوَ الصَّدِيقُ الحَقِيقِي

[إ] لا يـتمُّ التَّخفـيف وتـرك التَّكلُّف إلاَّ بأن يرى نفسَه دون إخوانه، ويحسن الظَّنَّ بهم ويسيء الظَّنَّ بنفسه، فإذا رآهم خيرًا من نفسه، فعند ذلك يكون هو خيرًا منهم.

[ش] قد يكون الصَّديق الجديد أحفظ للصحبة مِمَّن طالت صحبته، وقد يلاقي الإنسان صديقه الحقيقي من غير تدبير أو بحث.

-51-

غدًا تزور (2)

قـالَ الرَّسُـولُ: غَـدًا تَـزُو　　رُ فَقُلْتُ: تَعْقِلُ ما تَقُولْ؟

[إ] حُكـي أنَّ بعضهم سمع قائلاً يقول [البيت]، فاستفزَّه اللَّحن والقول، وتواجد وجعل يكـرِّر ذلـك ويجعـل مكـان التَّاء نونًا فيقول: قال الرَّسول غدًا نزور، حتَّى غُشي عليه من

---

(1) الإحياء 2/ 282، من الخفيف.

(2) الإحياء 2/ 399، من الكامل.

شـدة الفـرح واللَّـذة والـسُّرور، فلمـا أفـاق سُـئل عن وجده ممَّ كان، فقال: ذكرت قول الرَّسول صلَّى الله عليه وسلَّم : "إنَّ أهل الجنَّة يزورون ربَّهم في كلِّ يوم جمعة مرة" .

[ش] لأهـل الـوجد فهمٌ خاصٌّ لِما يسمعون فينزِّلونه على ما يقع لهم من معانٍ سامية، فيثمر الفهم الوجد، ويثمر الوجد الحركة بالجوارح.

-52-

التواضع للصَّديق (1)

تَـذَلَّلْ لِمَـنْ إنْ تَـذَلَّلْتَ لَـهْ ... يَـرَى ذاكَ لِلْفَـضْلِ لا لِلْـبَلَهْ
وَجانِـبْ صَـداقَةَ مَـنْ لا يـزالُ ... عَلَى الأَصْدِقاءِ يَرَى الفَضْلَ لَهْ

[إ] قال أبو معاوية الأسود: إخواني كلُّهم خيرٌ منِّي، قيل: وكيف ذلك؟ قال: كلُّهم يرى لي الفضل عليه، ومَن فضَّلني على نفسه فهو خيرٌ منِّي، وقد قال صلَّى الله عليه وسلَّم : "المـرء علـى دين خليله، ولا خير في صحبة مَن لا يرى لك مثل ما ترى له" ، فهذه أقل الدرجات وهو النظر بعين المساواة والكمال في رؤية الفضل للأخ، ولذلك قال سفيان: إذا قيل لك: (يا شرَّ النَّاس) فغضبت، فأنت شرُّ النَّاس، أي ينبغي أن تكون معتقدًا ذلك في نفـسك أبـدا، ومهمـا رأى الفـضل لنفسه، فقد احتقر أخاه، وهذا في عموم المسلمين مذموم، قال صلَّى الله عليه وسلَّم: "بحسب المؤمن من الشرِّ أن يحقر أخاه المسلم" .

[ش] ينبغـي أن لا يتواضـع الإنسان إلاَّ لمن يعرف قدرَه ويعطيه حقَّه، ولا يصاحب مَن يتكبَّر عليه ويفضِّل نفسه.

-53-

نعمة الستر (2)

ولا عـارَ إِنْ زالَـتْ عَنِ الْحُرِّ نِعْمَةٌ ... وَلَكِـنَّ عـارًا أَنْ يَـزُولَ الـتَّجَمُّلُ

---

(1) الإحياء 2/ 282، من المتقارب.

(2) الإحياء 2/ 336، من الطويل، لعلي بن الجهم في روضة العقلاء ص145.

[إ] من فوائد العزلة: بقاء السَّتر في الدِّين والمروءة والأخلاق، والفقر وسائر العورات.

وقد مدح الله سبحانه المتستِّرين فقال: ﴿يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ﴾[1]، ولا يخلو الإنسان في دينه ودنياه وأخلاقه من عورات، الأَولى في الدِّين والدُّنيا سترها، ولا تبقى السَّلامة مع انكشافها.

[ش] الـنِّعَم لا تدوم على حال، فهي تأتي وتزول ولا عار في ذلك، لكنَّ العار أن يفقد الإنسان تجمُّله فيبدو ما كان مستورًا من عيوبه.

-54-

فضل الغنى [2]

فَلَـنْ أَزالَ عَلَـى الـزَّوْراءِ أَعْمُرُها ... إِنَّ الكَـرِيمَ عَلَـى الإِخْوانِ ذُو الْمالِ

[إ] قال لقمان الحكيم لابنه: يا بنيَّ، استغن بالكسب الحلال عن الفقر؛ فإنَّه ما افتقر أحد قطُّ إلا أصابه ثلاث خصال: رقَّة في دينه، وضعف في عقله، وذهاب مروءته، وأعظم من هذه الثَّلاث استخفاف النَّاس به.

وقال عمر رضي الله عنه: لا يقعد أحدكم عن طلب الرِّزق ويقول اللهمَّ ارزقني؛ فقد علمتم أنَّ السَّماء لا تمطر ذهبًا ولا فضَّة.

وكان زيد بن مسلمة يغرس في أرضه، فقال له عمر رضي الله عنه: أصبت، استغن عن النَّاس يكن أصون لدينك، وأكرم لك عليهم.

[ش] اللَّبيب لا يقصِّر في طلب الرزق؛ فهو ذو قيمةٍ عند النَّاس طالما استغنى عنهم،

(1) سورة البقرة، الآية 273.
(2) الإحياء 2/ 124، من الطويل، لأحيحة بن الجلاح.

ومتى افتقر إليهم ذلَّ.

-55-

تواضع العظماء [1]

لا يُـنْقِصُ الكامِـلَ مِنْ كَمالِهِ

مـا جَـرَّ مِـنْ نَفْـعٍ إِلَـى عِيالِهِ

[إ] كـان عليٌّ رضي الله عنه يحمل التَّمر والملح في ثوبه ويده ويقول [البيت]، وكان أبو هريـرة وحذيفة وابن مسعود رضي الله عنهم يحملون حزم الحطب وجرب الدَّقيق على أكـتافهم، وكـان أبـو هريـرة رضي الله عنه يقول وهو والي المدينة والحطب على رأسه: طرِّقوا لأميركم.

وكـان سـيِّد المرسـلين صلَّى الله عليه وسلَّم يشتري الشَّيء فيحمله إلى بيته بنفسه، فيقول له صاحبه: أعطني أحمله، فيقول: "صاحب الشَّيء أحقُّ بحمله".

وكـان الحـسن بن عليٍّ رضي الله عنهما يمر بالسُّؤَّال وبين أيديهم كسر، فيقولون: هلمَّ إلى الغذاء يا ابن رسول الله، فكان ينزل ويجلس على الطريق، ويأكل معهم ويركب ويقول: إنَّ الله لا يحب المستكبرين.

[ش] ليس عيبًا على الرَّجل الكامل أن يكون في خدمة أهله؛ فإنَّما سيِّد القوم خادمهم.

-56-

نفسَك أولاً [2]

لا تَلُـمِ الْمَـرْءَ عَلَـى فِعْلِـهِ   وَأَنْـتَ مَنْـسُوبٌ إِلَـى مِـثْلِهِ

(1) الإحياء 2/ 343، من الرجز، لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه.

(2) الإحياء 3/ 40، من السريع، وعجز البيت الثاني في جمهرة الأمثال 1/ 273: (فإنَّما دل على جهله).

مَــنْ ذَمَّ شَــيْئًا وَأَتَــى مِــثْلَهُ   فَإِنَّمــا يُــزْرِي عَلَــى عَقْلِــهِ

[إ] قال الحسن البصريُّ رحمه الله: إذا كنت مِمَّن يأمرون بالمعروف، فكن من آخَذ النَّاس بـه، وإلاَّ هلكـتَ ... ولـسنا نعـني بهـذا أنَّ الأمر بالمعروف يصير ممنوعًا بالفسق، ولكن يـسقط أثـره عـن القلـوب بظهـور فسقه للنَّاس؛ فقد روي عن أنسٍ رضي الله عه قال: قلـنا: يـا رسـول الله، لا نأمـر بالمعـروف حتَّى نعمل به كله؟ ولا ننهى عن المنكر حتَّى نجتنـبه كلَّـه؟ فقـال صـلَّى الله علـيه وسـلَّم : "بل مروا بالمعروف وإن لم تعملوا به كله، وانهوا عن المنكر وإن لم تجتنبوه كله" .

[ش] الناصـح يُعـاب حـين يغفـل عن إصلاح نفسه قبل أن ينصح النَّاس، فكيف يريد إصلاحهم وهو عاجزٌ عن إصلاح نفسه؟

-57-

صُن لسانك (1)

اخْفِـضِ الصَّوْتَ إِنْ نَطَقْتَ بِلَيْلٍ   وَالْـتَفِتْ بِالـنَّهارِ قَـبْلَ الْمَقـالِ
لَـيْسَ لِلْقَـوْلِ رَجْعَـةٌ حِـينَ يَبْدُو   بِقَبِـــيحٍ يَكُـــونُ أَوْ بِجمـــالِ

[إ] مـن فـوائد العـزلة: الخلاص من شرِّ النَّاس؛ فإنَّهم يؤذونك مرَّة بالغيبة، ومرَّة بسوء الظَّـنِّ والـتُّهمة، ومـرَّة بالاقتراحـات والأطمـاع الكاذبـة الَّـتي يعـسر الوفاء بها، وتارةً بالنَّمـيمة أو الكذب، فربَّما يرون منك من الأعمال أو الأقوال ما لا تبلغ عقولهم كنهه، فيـتَّخذون ذلـك ذخـيرةً عندهم، يدَّخرونها لوقتٍ تظهر فيه فرصةٌ للشَّرِّ، فإذا اعتزلتهم اسـتغنيت مـن الـتَّحفُّظ عن جميع ذلك، ولذلك قال بعض الحكماء لغيره: أعلِّمك بيتين خيرٌ من عشرة آلاف درهم، قال: ما هما؟ قال [البيتين السابقين].

---

(1) الإحـياء 2/ 335، مـن الخفـيف، والبـيت الأول مذكـور لأبـان اللاحقـي في الأغانـي 23/ 176، والقـصة مذكـورة في روضـة العقـلاء ص44 ولم يذكـر سوى البيت الأول، وذكر أنه لإسماعيل بن سهل قاله لأبي حية.

[ش] الكـلام حـين يُقـال يتحمل قائله تبِعاته، فلهذا يجب أن يتحرَّز من قول ما يؤاخذ عليه.

-58-

العفو والاحتمال (1)

وَأَغْفِـرُ عَـوْراءَ الكَـرِيمِ ادِّخـارَهُ   وَأُعْـرِضُ عَـنْ شَتْمِ اللَّئِيمِ تَكَرُّما

[إ] قـال الأحنف: حقُّ الصَّديق أن تحتمل منه ثلاثًا: ظلم الغضب، وظلم الدَّالَّة، وظلم الهفوة، وقال آخر: ما شتمت أحدًا قط؛ لأنَّه إن شتمني كريمٌ فأنا أحقُّ مَن غفرها له، أو لئيمٌ فلا أجعل عرضي له غرضًا.

[ش] المـؤمن يعفـو ويـصفح عـن زلاَّت الغـير في حقه؛ فإنَّ من أخطأ فيه إمَّا أن يكون كريمًا يستحقُّ العفو، أو دنيئًا لا يجب أن ينزل إلى مستواه.

-59-

مقدار الحب (2)

....   وَما لِجُرْحٍ إذا أَرْضاكُمُ أَلَمُ

[إ] مقاديـر الأمـوال مـوازين المحـبَّة؛ إذ لا تُعـرف درجـة المحـبوب إلاَّ بمحبوبٍ يُترك في مقابلـته، فمـن استغرق الحبُّ جميع قلبه، لم يبق له محبوبٌ سواه، فلا يمسك لنفسه شيئًا، مـثل أبي بكر الصِّدِّيق رضي الله عنه، فإنَّه لم يترك لنفسه أهلاً ولا مالاً، فسلَّم ابنته الَّتي هي قرَّة عينه، وبذل جميع ماله.

---

(1) الإحياء 2/ 276، من الطويل.

(2) الإحياء 2/ 253، من البسيط، للمتنبي في ديوانه ص333.

[ش] المحبُّ لا يشعر بالألم حين يكون هذا الألم في رضا محبوبه، وهذا حال المؤمنين الصَّادقين في إخلاصهم لله، يبذلون كلَّ ما يستطيعون في حال غناهم، ويصبرون على كلِّ ما يصيبهم، ويرضون في الحالتين برضا الله.

-60-

النبي الأمين (1)

أَمِينٌ مُصْطَفى لِلْخَيْرِ يَدْعُو   كَضَوْءِ البَدْرِ زايَلَهُ الظَّلامُ

[إ] كان صلَّى الله عليه وسلَّم أحسن النَّاس وجهًا وأنورهم، لم يصفه واصفٌ إلاَّ شبَّهه بالقمر ليلة البدر، وكان يُرى رضاه وغضبه في وجهه لصفاء بشرته، وكانوا يقولون: هو كما وصفه صاحبه أبو بكر الصِّدِّيق رضي الله عنه [في البيت المذكور].

-61-

علو الهمة (2)

وَإِذا كانَتِ النُّفُوسُ كِبارًا   تَعِبَتْ في مُرادِها الأَجْسامُ

[إ] قال بعض أرباب القلوب: إنَّ الناس ليقولون: افتحوا أعينكم حتَّى تبصروا، وأنا أقول: غمِّضوا أعينكم حتَّى تبصروا، وكلُّ واحدٍ من القولين حقٌّ، إلاَّ أنَّ الأوَّل خبرٌ عن المنزل الأوَّل القريب من الوطن، والثَّاني خبرٌ عمَّا بعده من المنازل البعيدة عن الوطن الَّتي لا يطؤها إلاَّ مخاطرٌ بنفسه، والمجاوز إليها ربَّما يتيه فيها سنين، وربَّما يأخذ التَّوفيق بيده فيرشده إلى سواء السَّبيل، والهالكون في التِّيه هم الأكثرون من ركَّاب هذه الطَّريق، ولكن السَّائحون بنور التَّوفيق فازوا بالنَّعيم والملك المقيم، وهم الَّذين سبقت لهم من الله الحسنى، واعتبر هذا الملك بملك الدُّنيا؛ فإنَّه يقلُّ بالإضافة إلى كثرة الخلق

---

(1) الإحياء 3/ 102، من الوافر، لأبي بكر الصديق رضي الله عنه.
(2) الإحياء 2/ 352، من الخفيف، للمتنبي في ديوانه ص261.

طلاَّبـه، ومهمـا عظـم المطلـوب قـلَّ المساعد، ثمَّ الَّذي يهلك أكثر من الَّذي يملك، ولا يتصدَّى لطلب الملك العاجز الجبان؛ لعظيم الخطر وطول التَّعب.

[ش] إذا كـان الإنـسان ذا نفـسٍ قـويَّةٍ وهمَّـة عالـية لم يعـرف جسده الرَّاحة حتَّى ينال مطلوبه.

-62-

منشأ سوء الظن (1)

إذا ساءَ فِعْلُ الْمَرْءِ ساءَتْ ظُنُونُهُ   وَصَـدَّقَ مـا يَعْـتادُهُ مِـنْ تَوَهُّمِ
وَعـادَى مُحِبِّـيهِ بِقَـوْلِ عِداتِـهِ   فَأَصْبَحَ في لَيْلٍ مِنَ الشَّكِّ مُظْلِمِ

[إ] لا شكَّ أن مَن اختلط بالنَّاس وشاركهم في أعمالهم لا ينفكُّ من حاسدٍ وعدوٍّ يسيء الظَّـنَّ بـه، ويـتوهَّم أنَّـه يـستعدُّ لمعاداتـه، ونـصب المكيدة عليه، وتدسيس غائلةٍ وراءه، فالنَّاس مهما اشتدَّ حرصهم على أمر، يحسبون كلَّ صيحةٍ عليهم، هم العدوُّ فاحذرهم، وقد اشتدَّ حرصهم على الدُّنيا، فلا يظنُّون بغيرهم إلاَّ الحرص عليها، وقد قيل: معاشرة الأشرار تورث سوء الظَّنِّ بالأبرار.

[ش] حـين يكـون الإنـسان سـيِّء الأفعـال يـصبح سـيِّء الظَّـنِّ، ويتوهَّم الناس مثلَه، وتنطمس بصيرته فيسمع لأعدائه، ويكون كثير الشَّكِّ في محبِّيه.

-63-

الكرامة أو الموت (2)

فـإِنْ لا تَمُتْ تَحْتَ السُّيُوفِ مُكَرَّمًا   تَمُـتْ وَتُقـاسِ الـذُّلَّ غَيْرَ مُكَرَّمِ

---

(1) الإحياء 2/ 335، من الطويل، للمتنبي في ديوانه ص459.
(2) الإحياء 2/ 385، من الطويل، للمتنبي في ديوانه ص16.

[إ] من السَّماع المباح ما يعتاده الغزاة لتحريض النَّاس على الغزو ... لأنَّ [فيه] استثارة داعية الغزو وتحريك الغيظ والغضب على الكفَّار، وتحسين الشَّجاعة، واستحقار النَّفس والمال بالإضافة إليه بالأشعار المشجِّعة.

[ش] مَن خاف من الموت لا ينال الحياة، ولكنَّه يقاسي الذُّلَّ والهوان وهما أقسى من الموت، فأولى به الموت مع الكرامة والشَّرف.

-64-

نقص القادرين [1]

وَلَـمْ أَرَ فِي عُـيُوبِ النَّاسِ عَيْبًا ... كَنَقْصِ القادِرِينَ عَلَى التَّمامِ

[إ] السَّفر وسيلةٌ إلى الخلاص من مهروبٍ منه، أو الوصول إلى مطلوبٍ ومرغوبٍ فيه، والسَّفر سفران: سفرٌ بظاهر البدن عن المستقرِّ والوطن إلى الصَّحارى والفلوات، وسفرٌ بسير القلب عن أسفل السَّافلين إلى ملكوت السَّماوات، وأشرف السَّفرين السَّفر الباطن؛ فإنَّ الواقف على الحالة الَّتي نشأ عليها عُقيب الولادة، الجامد على ما تلَّقفه بالتَّقليد من الآباء والأجداد، لازمٌ درجة القصور، وقانعٌ بمرتبة النَّقص، ومستبدِلٌ بمتَّسع جنَّة عرضها السَّماوات والأرض ظلمةَ السِّجن، وضيق الحبس.

[ش] أعظم العيب الرِّضا بالنقص مع القدرة على التمام، فهو من ضعف الهمة وسوء التدبير.

-65-

حجَة الجبان [2]

تَرَى الْجُبَناءُ أَنَّ الْجُبْنَ حَزْمٌ ... وَتِلْـكَ خَدِيعَـةُ الطَّـبْعِ اللَّئِيمِ

---

(1) الإحياء 2/ 349، 4/ 319، من الوافر، للمتنبي في ديوانه ص483.

(2) الإحياء 2/ 352، 385 من الوافر، للمتنبي في ديوانه ص232، بلفظ (العجز عقل) مكان (الجبن حزم).

[إ] ما أودع الله العزَّ والملك في الدِّين والدُّنيا إلاَّ في حيِّز الخطر، وقد يسمِّي الجبانُ الجبنَ والقصورَ باسم الحزم والحذر.

[ش] الجبان يعتذر لجبنه ويخادع نفسه فيزعم أنَّ جبنه نوعٌ من الحزم والحذر.

-66-

أحوال المحبين [1]

سُبْحانَ جَبَّارِ السَّما إنَّ الْمُحِبَّ لَفِي عَنا

[إ] حُكي عن عتبة الغلام أنَّه سمع رجلاً يقول [البيت] فقال: صدقت، وسمعه رجلٌ آخر فقال: كذبت، فقال بعض ذوي البصائر: أصابا جميعًا، وهو الحقُّ؛ فالتَّصديق كلام محبٍّ غير ممكَّنٍ من المراد، بل مصدودٌ متعَبٌ بالصدِّ والهجر، والتَّكذيب كلام مستأنسٍ بالحبِّ مستلذٍّ لِما يقاسيه بسبب فرط حبِّه غير متأثِّرٍ به، أو كلام محبٍّ غير مصدودٍ عن مراده في الحال، ولا مستشعرٍ لخطر الصَّدِّ في المآل؛ وذلك لاستيلاء الرَّجاء وحسن الظَّنِّ على قلبه، فباختلاف هذه الأحوال يختلف الفهم.

-67-

الكريم واللئيم [2]

وَتَرَى الكَرِيمَ إذا تَصَرَّمَ وَصْلُهُ يُخْفِي القَبِيحَ وَيُظْهِرُ الإحْسانا
وَتَرَى اللَّئِيمِ إذا تَقَضَّى وَصْلُهُ يُخْفِي الجَمِيلَ وَيُظْهِرُ البُهْتانا

[إ] كان أبو سعيد الثوري يقول: إذا أردت أن تؤاخي رجلاً فأغضبه، ثم دس عليه مَن يسأله عنك وعن أسرارك، فإن قال خيرًا وكتم سرك فاصحبه، وقيل لأبي يزيد: مَن

(1) الإحياء 2/ 401، من الكامل.
(2) الإحياء 2/ 269، من الكامل.

تصحب من النَّاس؟ قال: مَن يعلم منك ما يعلم الله، ثم يستر عليك كما يستره الله.

وقـال ذو النُّون: لا خير في صحبة مَن لا يحبُّ أن يراك إلاَّ معصوما، ومَن أفشى الـسِّرَّ عـند الغضب فهو اللَّئيم؛ لأنَّ إخفاءه عند الرِّضا تقتضيه الطِّباع السَّليمة كلُّها، وقـد قـال بعـض الحكماء: لا تصحب مَن يتغيَّر عليك عند أربع: عند غضبه ورضاه، وعـند طمعـه وهـواه، بـل ينبغي أن يكون صدق هذه الأخوَّة ثابتًا على اختلاف هذه الأحوال.

[ش] الكريم يفارق بالمعروف من غير نشر لسوءات صاحبه، أمَّا اللئيم فإنَّه يراها فرصة لجحود الخير ونشر العيوب أو اختلاقها.

-68-

صحبة الأحمق (1)

إنِّـي لآمَـنُ مِـنْ عَـدُوٍّ عاقِـلٍ   وَأخـافُ خِـلاًّ يَعْتَـرِيهِ جُنُونُ
فَالعَقْـلُ فَـنٌّ واحِـدٌ وَطَـرِيقُهُ   أَدرِي فَأَرْصُدُ، والجُنُونُ فُنُونُ

[إ] ينبغـي أن يكـون في مَـن تؤثـر صحبته خمس خصال: أن يكون عاقلاً، حسن الخلق، غير فاسق ولا مبتدع، ولا حريص على الدنيا.

أمـا العقـل فهو رأس المال، وهو الأصل، فلا خير في صحبة الأحمق، فإلى الوحشة والقطيعة ترجع عاقبتها وإن طالت، كيف والأحمق قد يضرُّك وهو يريد نفعك وإعانتك من حيث لا تدري.

[ش] الصَّديق الأحمق بلاءٌ على صاحبه، وهو أشدُّ ضررًا من العدوِّ.

---

(1) الإحياء 2/ 259، من الكامل.

-69-

القطيعة [1]

رَأَيْـتُكَ تَبْنِـي دائِمًـا في قَطِيعَتِـي ... وَلَوْ كُنْتَ ذا حَزْمٍ لَهَدَّمْتَ ما تَبْنِي

كَأَنِّـي بِكُـمْ وَاللَّيْتُ أَفْضَلُ قَوْلِكُمْ ... أَلا لَيْتَـنا كُـنَّا إِذِ اللَّـيْتُ لا يُغْنِـي

[إ] حكـي عن أبي الحسن الدَّرَّاج أنه قال: قصدت يوسف بن الحسين الرَّازي من بغداد للزِّيارة والسَّلام عليه، فلمَّا دخلت الرَّيَّ كنت أسأل عنه، فكلُّ من سألته عنه قال: أيش تعمل بذلك الزِّنديق؟ فضيَّقوا صدري حتَّى عزمت على الانصراف، ثمَّ قلت في نفسي: قد جُبتُ هذا الطَّريق كله، فلا أقلَّ من أن أراه، فلم أزل أسأل عنه حتَّى دخلت عليه في مسجد وهو قاعد في المحراب وبين يديه رجلٌ وبيده مصحف وهو يقرأ، فإذا هو شيخٌ بهيٌّ حسن الوجه واللِّحية، فسلَّمت عليه، فأقبل عليَّ وقال: من أين أقبلت؟ فقلت: من بغداد، فقال: وما الَّذي جاء بك؟ فقلت: قصدتك للسَّلام عليك، فقال: لو أنَّ في بعض هذه البلدان قال لك إنسان: أقم عندنا حتَّى نشتري لك دارًا أو جاريةً، أكان يقعدك ذلك عن المجيء؟ فقلت: ما امتحنني الله بشيءٍ من ذلك، ولو امتحنني ما كنت أدري كيف أكون، ثمَّ قال لي: أتحسن أن تقول شيئًا؟ فقلت: نعم، فقال: هات، فأنشأت أقول: [البيتين السابقين]، قال: فأطبق المصحف ولم يزل يبكي حتَّى ابتلَّت لحيته وابتلَّ ثوبه حتَّى رحمته من كثرة بكائه، ثمَّ قال: يا بنيَّ، تلوم أهل الرَّيِّ يقولون: يوسف زنديق، هذا أنا من صلاة الغداة أقرأ في المصحف لم تقطر من عينيَّ قطرة، وقد قامت القيامة عليَّ لهذين البيتين، فإذا القلوب وإن كانت محترقةً في حبِّ الله تعالى فإنَّ البيت الغريب يهيج منها ما لا تهيج تلاوة القرآن، وذلك لوزن الشِّعر ومشاكلته للطِّباع، ولكونه مشاكلا للطبع اقتدر البشر على نظم الشِّعر، وأمَّا القرآن فنظمه خارجٌ عن أساليب الكلام ومنهاجه، وهو لذلك معجزٌ لا يدخل في قوَّة البشر؛ لعدم مشاكلته لطبعه.

---

(1) الإحياء 2/ 415، من الطويل، وظاهر الحكاية في الإحياء أن الشعر لأبي الحسن الدراج، وهو للوليد بن يزيد في الأغاني 7/ 14.

[ش] لأهـل الـوجد طـريقهم الخاصُّ في فهم ما يسمعون، فالشعر خطاب محب لمحبوبه، إلا أنـه فُهِم على أنه خطابٌ للعاصي البعيد من الخير والَّذي يمضي دائبًا في بناء القطيعة على خلاف ما هو مصلحةٌ له.

-70-

خلُق الكرام [1]

إِنَّ الكِـرامَ إِذا مـا أَيْسَرُوا ذَكَرُوا   مَـنْ كانَ يَأْلَفُهُمْ فِي المَنْزِلِ الْخَشِنِ

[إ] مـن الـوفاء أن لا يتغيَّـر حاله في التواضع مع أخيه وإن ارتفع شأنه واتَّسعت ولايته وعظم جاهه، فالتَّرفُّع على الإخوان بما يتجدَّد من الأحوال لؤم.

[ش] الكـرام حـين يتغيَّـر حـالهم إلى الغنـى والـسَّعة لا ينسون من كان صديقًا لهم أيام شدَّتهم وفقرهم.

-71-

تحقيق الحب [2]

وَلَـيْسَ لِـي فِي سِـواكَ حَظٌّ   فَكَـيْفَما شِـئْتَ فاخْتَبِرْنِي

[إ] فـرط الحـبِّ يُـضعف الإحـساس بـالألم، والفرح بفعل المحبوب وقصده إيَّاه بالإيلام يغمر إدراك الألم، وذلك كالفرح بضربةٍ من المحبوب، أو قرصةٍ فيها نوع معاتبة؛ فإنَّ قوة المحبَّة تثير فرحًا يغمر إدراك الألم فيه، وقد انتهت محبَّة الله بقومٍ إلى أن قالوا: لا نفرِّق بين الـبلاء والنِّعمة؛ فإنَّ الكلَّ من الله، ولا نفرح إلاَّ بما فيه رضاه، وينبغي أن يسأل الله تمام الـنِّعمة في الدُّنـيا، ودفـع ما فوقه من البلاء، ويسأله الثَّواب في الآخرة على الشُّكر على نعمته؛ فإنَّه قادر على أن يعطي على الشُّكر ما لا يعطيه على الصَّبر.

---

(1) الإحياء 2/ 279، من البسيط، لابن العميد في يتيمة الدهر 3/ 172.

(2) الإحياء 2/ 252، 4/ 401، من البسيط، لسمنون.

[ش] أهـل الحـب قد يتوسَّعون في الكلام حتَّى يقع منهم سؤال البلاء، ظنًّا منهم أن في ذلك تحقيقًا للحب، والمؤمن مأمورٌ بطلب العافية والسَّلامة من الله عزَّ وجلَّ.

-72-

عتاب الإخوة (1)

اذْهَبْ فَوُدُّكَ مِنْ فُؤادِي طالِقٌ	أَبَدًا وَلَيْسَ طَلاقَ ذاتِ البَيْنِ
فَـإِن ارْعَـوَيْتَ فَإِنَّهـا تَطْلِـيقَةٌ	وَيَـدُومُ وِدُّكَ لِـي عَلَى ثِنْتَيْنِ
وَإِن امْتَـنَعْتَ شَـفَعْتُها بِمِثالِها	فَـتَكُونُ تَطْلِيقَـيْنِ في حَيْضَيْنِ
وَإِذا الـثَّلاثُ أَتَـتْكَ مِنِّـي بَـتَّةً	لَـمْ تُغْنِ عَنْكَ وِلايَةُ السِّيبَيْنِ

[إ] أوصـى بعـض الـسَّلف ابنه فقال: يا بنَيَّ، لا تصحب من النَّاس إلاَّ مَن إذا افتقرت إليه قرب منك، وإن استغنيت عنه لم يطمع فيك، وإن علت مرتبته لم يرتفع عليك، وقال بعـض الحكمـاء: إذا ولـي أخـوك ولايةً فثَبت على نصف مودَّته لك فهو كثير، وحكى الربعي أنَّ الشَّافعي رحمه الله آخى رجلاً ببغداد، ثمَّ إنَّ أخاه ولي (السيبين) فتغيَّر له عمَّا كان عليه، فكتب إليه الشَّافعي بهذه الأبيات.

[ش] يعاتـب الـشَّافعي رضـي الله عـنه أخاه المشغول بمنصبه وولايته، ويقاطعه ويشبِّه قطيعـته لـه بالطَّلاق، لكنَّه ليس طلاقًا بائنًا، بل يمكن أن يرجع الودُّ بينهما، وإذا استمرَّ على القطيعة والهجر صار الطَّلاق ثلاثًا والقطيعة مؤكَّدة، وحينها لن يغني عنه منصبه.

-73-

رفيق الجوى (2)

رُبَّ وَرْقـاءَ هَتُوفٍ في الضُّحَى	ذاتِ شَجْوٍ صَدَحَتْ في فَنَنِ

(1) الإحياء 2/ 279، من الكامل، للإمام الشافعي رحمه الله، وهي في ديوانه ص109.
(2) الإحياء 2/ 412، من الرمل، ورقاء: حمامة، الشَّجْو: الحزن، الفَنَن: الغصن، الْجَوَى: الحرقة وشدة الوجد.

ذَكَـرَتْ إِلْفًـا وَدَهْـرًا صـالِحًا	وَبَكَتْ حُزْنًا فهاجَتْ حَزَنِي
فَبُكائِـــي رُبَّمـــا أَرَّقَهـــا	وَبُكاهـــا رُبَّمـــا أَرَّقَنِـــي
وَلَقَـدْ أَشْـكُو فمـا أَفْهَمُهـا	وَلَقَـدْ تَـشْكُو فمـا تَفْهَمُـنِي
غَيْـرَ أَنِّـي بِالْجَـوَى أَعْـرِفُها	وَهْـيَ أَيْضًا بِالْجَوَى تَعْرِفُنِي

[إ] رُوي أنَّ أبـا الحسين النوري كان مع جماعة في دعوى، فجرى بينهم مسألة في العلم وأبـو الحسين ساكت، ثمَّ رفع رأسه وأنشدهم [الأبيات]، قال: فما بقي أحدٌ من القوم إلاَّ قـام وتواجد، ولم يحصل لهم هذا الوجد من العلم الَّذي خاضوا فيه، وإن كان العلم جدًّا وحقًّا.

[ش] يحـدِّث الشاعر عن حمامة كانت تهتف وقت الضُّحى وتبكي وتشكو ما تلاقيه من الـشَّوق والوجد فيهيج حزن الشَّاعر، ورغم أنَّهما لا يفهمان شكوى بعضهما إلاَّ أنَّهما أصبحا رفيقين في الحزن والوجد.

-74-

لا تصحب الجاهل (1)

فَلا تَصْحَبْ أَخا الْجَهْلِ	وَإِيَّـــــاكَ وَإِيَّـــــاهُ
فَكَـمْ مِـنْ جاهِـلٍ أَرْدَى	حَلِـيمًا حِـينَ آخـاهُ
يُقـاسُ الْمَـرْءُ بِالْمَـرْءِ	إِذا مـا الْمَـرْءُ ماشـاهُ
وَلِلـشَّيْءِ مِـنَ الـشَّيْءِ	مَقايِـــيسٌ وَأَشْـــباهُ
وَلِلْقَلْـبِ عَلَـى القَلْـبِ	دَلِـيلٌ حِـينَ يَلْقـاهُ

[إ] قـيل: مقاطعـة الأحمـق قـربانٌ إلى الله، وقـال الثَّوري: النَّظر إلى وجه الأحمق خطيئةٌ مكتوبة.

(1) الإحياء 2/ 259، من الهزج، للإمام علي في ديوانه ص205.

[ش] صحبة الجاهل تؤدِّي إلى الهلكة، وتجعل صاحبه مقيسًا به، منسوبًا إلى الجهل مثله.

-75-

الخلوة [1]

وَإِنِّـي لأَسْتَغْـشِي وما بِيَ غَشْوَةٌ لَعَـلَّ خَـيالاً مِـنْك يَلْقَـى خَيالِيا
وَأَخْـرُجُ مِنْ بَيْنِ الْجُلُوسِ لَعَلَّنِي أُحَدِّثُ عَنْكِ النَّفْسَ بِالسِّرِّ خالِيا

[إ] في الخلوة أنسٌ بذكر الله، واستكثارٌ من معرفة الله ... ولذلك قال بعض الحكماء: إنَّما يستوحش الإنسان من نفسه لخلوِّ ذاته عن الفضيلة، فيكثر حينئذٍ ملاقاة النَّاس، ويطرد الوحشة عن نفسه بالكون معهم، فإذا كانت ذاته فاضلةً طلب الوحدة ليستعين بها على الفكرة، ويستخرج العلم والحكمة، وقد قيل: الاستئناس بالنَّاس من علامات الإفلاس.

[ش] المحبُّ يفعل كلَّ ما من شأنه أن يقرِّبه من محبوبه، ولو بالأحلام والخيال وحديث النَّفس.

-76-

هموم الدنيا [2]

أَرَى الدُّنْيا لِمَـنْ هِيَ فِي يَدَيْهِ هُمُـومًا كُلَّمـا كَثُـرَتْ لَدَيْـهِ
تُهِـينُ الْمُكْـرِمِينَ لَهـا بِـصِغْرٍ وَتُكْـرِمُ كُـلَّ مَنْ هانَتْ عَلَيْهِ
إِذا اسْـتَغْنَيْتَ عَـنْ شَيْءٍ فَدَعْهُ وَخُـذْ مـا أَنْـتَ مُحْتاجٌ إِلَيْهِ

[ش] كلَّما كثرت الدُّنيا كثرت همومها، وهي تجعل مَن يطلبها مهانًا ذليلاً، والكريم مَن هانت عليه الدُّنيا فلم تشغل باله، ولم يأخذ إلاَّ ما يحتاج إليه.

---

(1) الإحياء 2/ 329، من الطويل.
(2) الإحياء 3/ 17، من الوافر، لأبي العتاهية في ديوانه ص244.

-77-

صدق المودة [1]

مَـــرِضَ الْحَبِـــيبُ فَعُدْتُـــهُ   فَمَرِضْتُ مِنْ حَذَرِي عَلَيْهِ
وَأَتَـــى الْحَبِـــيبُ يَعُودُنِـــي   فَبَـرِئْتُ مِـنْ نَظَـرِي إِلَـيْهِ

[إ] كـان الـشَّافعي رضـي الله عـنه آخـى محمَّـد بن عبد الحكم، وكان يقرِّبه ويقبل عليه ويقول: ما يقيمني بمصر غيره، فاعتلَّ محمد فعاده الشَّافعي رحمه الله تعالى فقال [البيتين]، وظنَّ النَّاس ـ لصدق مودَّتهما ـ أنَّه يفوِّض أمر حلقته إليه بعد وفاته، فقيل للشَّافعيِّ في علَّته الَّتي مات فيها رضي الله تعالى عنه: إلى مَن نجلس بعدك يا أبا عبد الله؟ فاستشرف لـه محمَّـد بن عبد الحكم وهو عند رأسه ليومئ إليه، فقال الشَّافعي: سبحان الله! أَيُشَكُّ في هـذا؟ أبـو يعقـوب البويطـي، فانكسر لها محمَّد، ومال أصحابه إلى البويطي، مع أنَّ محمَّـدًا كان قد حمل عنه مذهبه كلَّه، لكن كان البويطي أفضل وأقرب إلى الزُّهد والورع، فنصح الشَّافعي لله وللمسلمين وترك المداهنة، ولم يؤثر رضا الخلق على رضا الله تعالى.

(1) الإحـياء 2/ 279، مـن الكامـل، للإمام الشافعي، قاله في أخيه محمد بن عبد الحكم، وهو في ديوانه ص112.

الربع الثالث: ربع المهلكات

-78-

ذم الحرص [(1)]

إِذا سُـدَّ بابٌ عَنْكَ مِنْ دُون حاجَةٍ   فَدَعْـهُ لأُخْـرَى يَنْفَـتِحْ لَـكَ بابُها
فَـإِنَّ قـرابَ الـبَطْنِ يَكْفِـيكَ ملْؤُهُ   وَيَكْفِيكَ سَوْءاتِ الأُمُورِ اجْتِنابُها
وَلا تَـكُ مِبْذالاً لِعِرْضِكَ وَاجْتَنِبْ   رُكُـوبَ الْمَعاصِي يَجْتَنِبْكَ عِقابُها

[إ] قال ابن السَّمَّاك: إنَّ الرَّجاء حبلٌ في قلبك، وقيدٌ في رجلك، فأخرج الرَّجاء من قلبك يخرج القيد من رجلك، وقال أبو محمَّد اليزيدي: دخلت على الرَّشيد فوجدته ينظر في ورقةٍ مكتوب فيها بالذَّهب، فلمَّا رآني تبسَّم، فقلت: فائدة أصلح الله أمير المؤمنين؟ قال: نعم، وجدت هذين البيتين في بعض خزائن بني أميَّة فاستحسنتهما، وقد أضفت إليهما ثالثًا، وأنشدني [الأبيات]، وقال عبد الله بن سلام لكعب: ما يذهب العلوم من قلوب العلماء بعد إذ وعوها وعقولها؟ فقال: الطَّمع، وشره النَّفس، وطلب الحوائج.

[ش] الحرص يجعل الإنسان في تعبٍ دائم، ويعرِّضه للوقوع في المعاصي، واجتناب الحرص أصون للعِرض وأسلم في العاقبة.

-79-

حرص الغني [(2)]

أَراكَ يَـزِيدُكَ الإِثْـراءُ حِرْصًـا   عَلَـى الدُّنْـيا كَأَنَّـكَ لا تَمُـوتُ

(1) الإحياء 4/ 15، من الطويل، والبيت الثاني وحده في جمهرة الأمثال 2/ 81 لمرار بن منقذ، والثالث كما تفيد القصة من قول هارون الرشيد.
(2) الإحياء 4/ 15، من الوافر.

فَهَـلْ لَـكَ غايَـةٌ إِنْ صِرْتَ يَوْمًا إِلَيْها قُلْتَ حَسْبِي قَدْ رَضِيتُ ؟

[إ] قـال عمـر رضي الله عنه: ألا أخبركم بما أستحلُّ من مال الله تعالى؟ حُلَّتان لشتائي وقيظـي، ومـا يـسعني مـن الظَّهر [1] لحجِّي وعمرتي، وقوتي بعد ذلك كقوت رجلٍ من قريش، لست بأرفعهم ولا بأوضعهم، فوالله ما أدري أيحلُّ ذلك أم لا؟ كأنَّه شكَّ في أنَّ هذا القدر هل هو زيادةٌ على الكفاية التي تجب القناعة بها.

وعاتـب أعرابـيٌّ أخاه على الحرص فقال: يا أخي، أنت طالبٌ ومطلوب، يطلبك مَن لا تفوته، وتطلب أنت ما قد كُفِيتَه، وكأنَّ ما غاب عنك قد كُشِف لك، وما أنت فيه قد نُقِلت عنه، كأنَّك يا أخي لم تر حريصًا محرومًا وزاهدًا مرزوقا.

[ش] الغِنـى يـزيد بعـض الـنَّاس حرصًا على جمع الدُّنيا، كأنَّهم لا يؤمنون بالموت، ولا يضعون حدًّا يرضون به ويتركون ما جاوزه.

-80-

فضل السخاء [2]

يـا لَهْـفَ قَلْبِـي عَلَـى مـالٍ أَجُودُ بِهِ عَلَـى الْمُقِلِّـينَ مِـنْ أَهْـلِ الْمُـرُوءاتِ
إِنَّ اعْـتِذارِي إِلَـى مَـنْ جـاءَ يَسْأَلُنِي مـا لَيْسَ عِنْدِي لَمِنْ إِحْدَى الْمُصِيباتِ

[إ] قدم الشَّافعي من صنعاء إلى مكَّة بعشرة آلاف دينار، فضرب خباءه في موضعٍ خارج عـن مكة، ونثرها على ثوب، ثمَّ أقبل على كلِّ مَن دخل عليه، يقبض له قبضةً ويعطيه، حتَّى صلَّى الظهر ونفض الثَّوب وليس عليه شيء.

(1) الظَّهر: ما يُركَب من الدوابّ.
(2) الإحياء 4/ 29، من البسيط، للإمام الشافعي رحمه الله.

[ش] العظماء من النَّاس يريدون بالمال نفع أهل العلم والصَّلاح الَّذين لا مال لهم، ويتحرَّجون من ردِّ مَن يسألهم، كما كان حال الإمام الشافعيِّ رحمه الله.

-81-

نسب الخسيس [1]

لَئِنْ فَخَرْتَ بِآبَاءٍ ذَوِي شَرَفٍ   لَقَدْ صَدَقْتَ وَلَكِنْ بِئْسَ ما وَلَدُوا

[إ] الكمال الحقيقيُّ هو العلم والعمل، فأما مَّا عداه مِمَّا يفنى بالموت فكمالٌ وهميّ ... والمتكبِّر بالنَّسب إن كان خسيسًا في صفات ذاته، فمن أين يجبر خسَّته بكمال غيره؟ بل لو كان الَّذي يُنسب إليه حيًّا لكان له أن يقول: الفضل لي، ومَن أَنت؟ وإنَّما أنت دودةٌ خُلِقتْ من بولي، أفترى أنَّ الدُّودة التي خُلقت من بول إنسان أشرف من الدُّودة الَّتي من بول فرس؟ هيهات، بل هما متساويان، والشَّرف للإنسان لا للدُّودة.

[ش] النَّسب لا يُغني عن صاحبه شيئًا، فشرف المرء بالعلم والعمل الصَّالح، لا بالنَّسب.

-82-

الكامل محسود [2]

لا ماتَ أَعْداؤُكَ بَلْ خُلِّدُوا   حَتَّى يَرَوْا فِيكَ الَّذِي يُكْمِدُ
لا زِلْتَ مَحْسُودًا عَلَى نِعْمَةٍ   فَإِنَّما الكامِلُ مَنْ يُحْسَدُ

[إ] المحسود ينتفع بالحسد في الدِّين والدُّنيا، أمَّا منفعته في الدِّين فهو أنَّه مظلوم من جهتك، لا سيَّما إذا أخرجك الحسد إلى القول والفعل بالغيبة والقدح فيه وهتك ستره وذكر مَساويه، فهذه هدايا تهديها إليه ـ أعني أنَّك بذلك تهدي إليه حسناتك ـ حتَّى

(1) الإحياء 4/ 165، من البسيط.
(2) الإحياء 3/ 359، من السريع.

تلقـاه يـوم القـيامة مفلـسًا محـرومًا عن النِّعمة كما حُرِمتَ في الدُّنيا عن النِّعمة، فكأنَّك أردت زوال الـنِّعمة عـنه فلـم تزل، نعم كان لله عليه نعمة؛ إذ وفَّقك للحسنات فنقلتها إلـيه، فأضـفت إليه نعمةً إلى نعمة، وأضفت إلى نفسك شقاوةً إلى شقاوة، وأمَّا منفعته في الدُّنـيا فهـو أنَّ أهـمَّ أغراض الخلق مساءة الأعداء وغمُّهم وشقاوتهم، وكونهم معذَّبين مغمـومين، ولا عـذاب أشدُّ مِمَّا أنت فيه من ألم الحسد، وغاية أماني أعدائك أن يكونوا في نعمـةٍ وأن تكـون في غمٍّ وحسرةٍ بسببهم، وقد فعلت بنفسك ما هو مرادهم، ولذلك لا يشتهي عدوُّك موتَك، بل يشتهي أن تطول حياتك، ولكن في عذاب الحسد؛ لتنظر إلى نعمـة الله علـيه فيـتقطَّع قلبك حسدًا ... ففرح عدوِّك بغمِّك وحسدك أعظم من فرحه بنعمـته، ولـو علـم خلاصك من ألم الحسد وعذابه لكان ذلك أعظم مصيبةٍ وبليَّةٍ عنده، فما أنت فيما تلازمه من غمِّ الحسد إلاَّ كما يشتهيه عدوُّك.

فـإذا تأمَّلت هذا عرفت أنك عدوُّ نفسك وصديق عدوِّك؛ إذ تعاطيت ما تضرَّرت بـه في الدُّنـيا والآخـرة وانـتفع به عدوُّك في الدُّنيا والآخرة، وصرت مذمومًا عند الخالق والخلائق، شقيًّا في الحال والمآل، ونعمة المحسود دائمة، شئت أم أبيت باقية.

[ش] لا ينبغـي أن يحـزن المحـسود، بـل يفرح بغمِّ أعدائه، ويتمنَّى لهم طول العمر ليزيد عذابهم بحسدهم له.

-83-

حبُّ الدنيا (1)

مـا حـالُ مَنْ كانَ لَهُ واحِدٌ   غُيِّبَ عَنْهُ ذَلِكَ الواحِدُ ؟

[إ] أمَّـا الأنـس والحـب فهمـا مـن المسعدات، وهمـا موصِّـلان العـبد إلى لـذَّة اللِّقـاء والمشاهدة، وهذه السَّعادة تتعجَّل عُقَيب الموت إلى أن يدخل أوان الرُّؤية في الجنَّة فيصير

(1) الإحياء 3/ 388، 6/ 141، من السريع.

القبر روضةً من رياض الجنَّة، وكيف لا يكون القبر عليه روضةً من رياض الجنَّة ولم يكن له إلاَّ محبوبٌ واحدٌ؟ وكانت العوائق تعوقه عن دوام الأُنس بدوام ذكره ومطالعة جماله، فارتفعت العوائق، وأفلت من السِّجن، وخُلِّي بينه وبين محبوبه فقدم عليه مسرورًا سليمًا من الموانع آمنًا من العوائق، وكيف لا يكون محبُّ الدُّنيا عند الموت معذَّبًا ولم يكن له محبوبٌ إلاَّ الدُّنيا؟ وقد غُصب منه، وحيل بينه وبينه، وسُدَّت عليه طرق الحيلة في الرجوع إليه.

[ش] مَن كان يحبُّ الدنيا حبًّا شديدًا فعمرها ونسي آخرته صار في الآخرة في شقاء؛ لأنَّه حُرم مِمَّا يحبُّ وصار إلى ما يكره.

-84-

عداوة الحاسد (1)

كُلُّ العداواتِ قَدْ تُرْجَى إماتَتُها إِلاَّ عَـداوَة مَنْ عاداكَ مِنْ حَسَدِ

[إ] قال رجلٌ للحسن: هل يحسد المؤمن؟ قال: ما أنساك بني يعقوب؟ نعم، ولكن غمِّه في صدرك؛ فإنَّه لا يضرك ما لم تعد به يدًا ولا لسانًا، وقال أبو الدرداء: ما أكثر عبدٌ ذِكْرَ الموت إلاَّ قلَّ فرحه وقلَّ حسده، وقال معاوية: كلُّ النَّاس أقدر على رضاه، إلاَّ حاسد نعمة؛ فإنَّه لا يرضيه إلا زوالها، وقال أعرابي: ما رأيت ظالًما أشبه بمظلوم من حاسد؛ إنه يرى النعمة عليك نقمة عليه.

وقال الحسن: يا ابن آدم، لِمَ تحسد أخاك؟ فإن كان الَّذي أعطاه لكرامته عليه، فلم تحسد مَن أكرمه الله؟ وإن كان غير ذلك، فلِمَ تحسد مَن مصيره إلى النار؟ وقال بعضهم: الحاسد لا ينال من المجالس إلاَّ مذمَّةً وذُلاً، ولا ينال من الملائكة إلا لعنةً وبغضًا، ولا ينال من الخلق إلا جزعًا وغمًّا، ولا ينال عند النَّزع (2) إلا شدةً وهولاً، ولا ينال عند الموقف إلاَّ فضيحةً ونكالاً.

---

(1) الإحياء 3/ 349، من البسيط، للإمام الشافعي في ديوانه ص37.
(2) النزع: خروج الروح.

[ش] العداوة إذا كان باعثها الحسد فلا أمل في إطفاء نارها، ولا إرضاء صاحبها.

-85-

اقنع بعيشك[1]

العَـيْشُ سـاعاتٌ تَمُـرْ ... وَخُطُـوبُ أَيَّـامٍ تَكُـرْ
اقْـنَعْ بِعَيْـشِكَ تَرْضَـهُ ... وَاتْـرُكْ هَـواكَ تَعِيشُ حُرْ
فَلَـرُبَّ حَـتْفٍ سـاقَهُ ... ذَهَـبٌ وياقُـوتٌ وَدُرْ

[إ] قال عمر رضي الله عنه: إنَّ الطمع فقر، وإنَّ اليأس غنى، وإنَّه مَن ييأس عما في أيدي النَّاس استغنى عنهم، وقيل لبعض الحكماء: ما الغِنى؟ قال: قلة تَمَنِّيك، ورضاك بما يكفيك، وكان محمَّد بن واسع يبلُّ الخبز اليابس بالماء ويأكل ويقول: مَن قنع بهذا لم يحتج إلى أحد.

وقال سفيان: خير دنياكم ما لم تُبتلوا به، وخير ما ابتُليتم به ما خرج من أيديكم، وقال ابن مسعود: ما مِن يوم إلاَّ وملكٌ ينادي: يا ابن آدم، قليلٌ يكفيك خيرٌ من كثيرٍ يطغيك.

وقال سميط بن عجلان: إنَّما بطنك يا ابن آدم شبرٌ في شبر، فلم يدخلك النَّار؟ وقيل لحكيم: ما مالك؟ قال: التَّجمُّل في الظَّاهر، والقصد في الباطن، واليأس مِمَّا في أيدي الناس.

[ش] السَّعادة في القناعة والرِّضا وترك الهوى، وليس الغنى بكثرة المال، بل ربَّما كان المال سبب الهلاك.

---

(1) الإحياء 4/ 14، من الكامل.

زوال الدنيا [1]

يــا راقِــدَ اللَّــيْلِ مَــسْرُورًا بِأَوَّلِــهِ	إنَّ الْحَـوادِثَ قَـدْ يَطْرُقْنَ أَسْحارا
أَفْنَـى القُـرُونَ الَّتِـي كانَـتْ مُـنَعَّمَةً	كَــرُّ الْجَدِيــدَيْنِ إقْــبالاً وَإدْبــارا
كَمْ قَدْ أَبادَتْ صُرُوفُ الدَّهْرِ مِنْ مَلِكٍ	قَـدْ كـانَ في الدَّهْـرِ نَفَّاعًا وَضَرَّارا
يــا مَــنْ يُعانِــقُ دُنْـيا لا بَقــاءَ لَهــا	يُمْـسِي وَيُـصْبِحُ في دُنْـياهُ سَـفَّارا
هَــلاَّ تَــرَكْتَ مِــنَ الدُّنْــيا مُعانَقَــةً	حَتَّـى تُعانِـقَ في الفِـرْدَوْسِ أَبْكارا
إنْ كُـنْتَ تَبْغِي جِنانَ الْخُلْدِ تَسْكُنُها	فَيَنْبَغِــي لَــكَ أَنْ لا تَــأْمَنَ الــنَّارا

[إ] قـال أبـو أمامـة الباهلـيُّ رضـي الله عنه: لَمَّا بُعث محمَّد صلَّى الله عليه وسلَّم أتت إبلـيسَ جـنودُه فقالوا: قد بُعث نبيٌّ وأُخرجت أمَّة، قال: يحبُّون الدُّنيا؟ قالوا: نعم، قال: لئن كانوا يحبُّون الدُّنيا ما أُبالي أن لا يعبدوا الأوثان، وإنَّما أغدو عليهم وأروح بثلاث: أخـذ المـال مـن غـير حقِّه، وإنفاقه في غير حقِّه، وإمساكه عن حقِّه، والشَّرُّ كان من هذا نبع.

وقال رجلٌ لعليٍّ كرَّم الله وجهه: يا أمير المؤمنين، صف لنا الدُّنيا، قال: وما أصف لك مَن دارٍ مَن صحَّ فيها سقم، ومَن أمن فيها ندم، ومَن افتقر فيها حزن، ومن استغنى فـيها افـتتن، في حلالها الحساب، وفي حرامها العقاب، ومتشابهها العتاب، وقيل له ذلك مرَّةً أخرى فقال: أطوِّل أَم أقصِّر؟ فقيل: قصِّر، فقال: حلالها حساب وحرامها عذاب.

وقـال مالـك بـن ديـنار: اتَّقـوا السَّحَّارة؛ فإنَّها تسحر قلوب العلماء، يعني الدنيا، وقال أبو سليمان الداراني: إذا كانت الآخرة في القلب جاءت الدُّنيا تزاحمها، فإذا كانت الدُّنيا في القلب لَم تزاحمها الآخرة؛ لأنَّ الآخرة كريمة والدُّنيا لئيمة، وهذا تشديدٌ عظيم،

(1) الإحياء 3/ 373، من البسيط، والثلاثة الأخيرة تُروى للإمام الشافعي في ديوانه ص44.

ونـرجو أن يكـون مـا ذكـره سـيَّار بن الحكم أصحَّ؛ إذ قال: الدُّنيا والآخرة يجتمعان في القلب، فأيُّهما غلب كان الآخر تبعًا له.

وقـال مالـك بـن دينار: بقدر ما تحزن للدُّنيا يخرج همُّ الآخرة من قلبك، وبقدر ما تحـزن للآخـرة يخـرج هـمُّ الدُّنيا من قلبك، وهذا اقتباسٌ مِمَّا قاله عليٌّ كرَّم الله وجهه؛ حـيث قـال: الدُّنـيا والآخـرة ضَرَّتان، فبقدر ما تُرضي إحداهما تسخط الأخرى، وقال الحسن: والله لقد أدركت أقوامًا كانت الدُّنيا أهون عليهم من التُّراب الَّذي تمشون عليه، ما يبالون أشرقت الدنيا أم غربت، ذهبت إلى ذا أو ذهبت إلى ذا.

وقـال رجـلٌ للحسن: ما تقول في رجلٍ آتاه الله مالاً فهو يتصدَّق منه ويصل منه؟ أيحسن له أن يتعيَّش فيه؟ ـ يعني يتنعم ـ فقال: لا، لو كانت له الدُّنيا كلُّها ما كان له منها إلاَّ الكفاف، ويقدِّم ذلك ليوم فقره، وقال الفضيل: لو أنَّ الدُّنيا بحذافيرها عُرضت عليَّ حـلالاً لا أُحاسَـب عليها في الآخرة لكنت أتقذَّرها كما يتقذَّر أحدكم الجيفة إذا مرَّ بها أن تصيب ثوبه.

وقيل: لَمَّا قدم عمر رضي الله عنه الشَّام فاستقبله أبو عبيدة بن الجرَّاح على النَّاقة مخطـومةً بحـبلٍ فـسلَّم وسأله، ثمَّ أتى منزله فلم ير فيه إلاَّ سيفه وترسه ورحله، فقال له عمر رضي الله عنه: لو اتَّخذت متاعًا، فقال: يا أمير المؤمنين، إنَّ هذا يبلِّغنا المقيل، وقال سفيان: خذ من الدُّنيا لبدنك، وخذ من الآخرة لقلبك.

وقـال الحـسن: والله لقـد عـبدت بنو إسرائيل الأصنام بعد عبادتهم الرَّحمن بحبِّهم الدُّنـيا، وقـال وهـب: قـرأت في بعض الكتب: "الدُّنيا غنيمة الأكياس وغفلة الجهَّال، لم يعرفوها حتَّى خرجوا منها فسألوا الرَّجعة فلم يرجعوا"، وقال لقمان لابنه: يا بنيَّ، إنَّك اسـتدبرت الدُّنـيا مِن يوم نزلتها واستقبلت الآخرة، فأنت إلى دارٍ تقرب منها أقرب من دارٍ تـباعد عنها، وقال سعيد بن مسعود: إذا رأيت العبد تزداد دنياه وتنقص آخرته وهو به راضٍ فذلك المغبون الذي يُلعب بوجهه وهو لا يشعر.

[ش] العاقل لا يركن إلى الدنيا ولا يأمن لها؛ فكم أخذت الحوادث غافلاً على غِرَّة، ولم يسلم من غوائلها أحد، ومَن فضَّل الآخرة عليها فهو الفائز بالنَّعيم المقيم في الآخرة.

-87-

خوف الفقر [1]

وَمَـنْ يُنْفِقِ السَّاعاتِ في جَمْعِ مالِهِ   مَخافَـةَ فَقْـرٍ فالَّذِي فَعَلَ الفَقْرُ

[إ] انظـر كـيف انقلـب الجاهلون وانكبُّوا على وجوههم انكباب العميان، فأقبلوا على طلـب كمـال القـدرة بالجـاه والمال، وهو الكمال الَّذي لا يسلم، وإن سلم فلا بقاء له، وأعرضوا عن كمال الحرِّيَّة والعلم، الَّذي إذا حصل كان أبديًّا لا انقطاع له، وهؤلاء هم الَّـذين اشتروا الحياة الدُّنيا بالآخرة، فلا جرم لا يخفَّف عنهم العذاب ولا هم ينصرون، وهـم الَّذين لم يفهموا قوله تعالى: ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾[2]، فـالعلم والحـرِّيَّة هـي الباقـيات الـصالحات الـتي تبقـى كمـالاً في النفس، والمال والجاه هو الَّذي ينقضي على القرب.

[ش] الحـريص علـى الدُّنـيا يدفعـه حرصـه إلى الغفلـة عن انقضاء الوقت في جمع المال وفوات الانتفاع به، فيقع في الفقر الَّذي منه هرب، ويفوته الغِنى الَّذي إيَّاه طلب.

-88-

الغرور بالدنيا [3]

وَإِنَّ امْـرَأً دُنْـياهُ أَكْبَـرُ هَمِّـهِ   لَمُسْتَمْسِكٌ مِنْها بِحَبْلِ غُرُورِ

---

(1) الإحياء 4/ 70، من الطويل، للمتنبي، وهو في ديوانه ص189.

(2) سورة الكهف، الآية 46.

(3) الإحياء 3/ 381، من الطويل.

[إ] اعلـم أنَّ طـبع الدُّنـيا الـتَّلطُّف في الاسـتدراج أوَّلاً والتَّوصُّـل إلى الإهـلاك آخرًا، وهي كامـرأةٍ تتزيَّن للخُطَّاب حتَّى إذا نكحتهم ذبحتهم، وقد رُوي أنَّ عيسى عليه السَّلام كوشف بالدُّنـيا فـرآها في صـورة عجوزٍ هَتْماء عليها من كلِّ زينة، فقال لها: كم تزوَّجتِ؟ قالت: لا أحـصيهم، قـال: فكلُّهـم مـاتَ عـنكِ أم كلُّهم طلقكِ؟ قالت: بل كلهم قتلتُ، فقال عيسى علـيه السَّلام: بؤسًا لأزواجك الباقين، كيف لا يعتبرون بأزواجك الماضين؟ كيف تهلكينهم واحدًا بعد واحدٍ ولا يكونون منكِ على حذر؟

قـال العـلاء بـن زيـاد: رأيت في المنام عجوزًا كبيرةً متعصِّبة الجلد، عليها من كلِّ زينة الدُّنـيا، والـنَّاس عُكوفٌ عليها مُعجبون ينظرون إليها، فجئت ونظرت وتعجَّبت مِن نظرهم إلـيها وإقـبالهم علـيها، فقلت لها: ويلكِ، مَن أنتِ؟ قالت: أَوَما تعرفني؟ قلت: لا أدري مَن أنـتِ، قالـت: أنـا الدُّنـيا، قلـت: أعـوذ بالله من شرِّك، قالت: إن أحببت أن تُعاذ من شرِّي فأبغض الدِّرهم.

قـال أبـو بكر بن عيَّاش: رأيتُ الدُّنيا في النوم عجوزًا مشوَّهة شمطاء تصفِّق بيديها، وخلفهـا خلـقٌ يتـبعونها ويصفِّقون ويرقصون، فلمَّا كانت بحذائي أقبلت عليَّ فقالت: لو ظفرتُ بك لصنعتُ بك مثل ما صنعت بهؤلاء، ثمَّ بكى أبو بكر وقال: رأيت هذا قبل أن أقدم إلى بغداد.

[ش] مَـن كانـت الدنـيا أكـبر همـه لم يأمن الهلكة؛ فلا أمان للدُّنيا، وكلُّ ما فيها غرور وباطل.

-89-

الدين والدنيا (1)

نُـرَقِّعُ دُنْـيانا بِتَمْـزِيقِ دِينِـنا فَـلاَ دِينُنا يَبْقَى وَلاَ ما نُرَقِّعُ

(1) الإحياء 3/ 373، من الطويل، لإبراهيم بن أدهم رحمه الله.

فَطُوبَـى لِعَـبْدٍ آثَـرَ اللهَ رَبَّهُ وَجـادَ بِدُنْـياهُ لِمـا يُـتَوَقَّعُ

[إ] زار رابعـةَ أصـحابُها، فذكـروا الدُّنيا فأقبلوا على ذمِّها، فقالت: اسكتوا عن ذكرها؛ فلـولا موقعها من قلوبكم ما أكثرتم من ذكرها، ألا مَن أحبَّ شيئًا أَكْثَرَ مِن ذكره، وقيل لإبراهيم بن أدهم: كيف أنت؟ فقال [البيتين السابقين].

[ش] إذا ضـحَّى المـرء بدينه ليعمر دنياه لم يبق له الدِّين ولم تنفعه الدُّنيا، والمفلح مَن آثر رضا الله وضحَّى بدنياه من أجل آخرته.

-90-

الوديعة مردودة [1]

وَمـا الْمالُ وَالأَهْلُونَ إِلاَّ وَدائعٌ وَلا بُـدَّ يَـوْمًا أَنْ تُـرَدَّ الوَدائِـعُ

[إ] قـال أبـو حازم: إيَّاكم والدُّنيا؛ فإنَّه بلغني أنَّه يُوقف العبدُ يوم القيامة إذا كان معظِّمًا الدُّنـيا فـيُقال: هـذا عظَّـم ما حقره الله، وقال ابن مسعود: ما أصبح أحدٌ من النَّاس إلاَّ وهو ضيفٌ وماله عارية، فالضيف مُرتَحِلٌ والعاريةُ مردودة.

[ش] المـال والأهل زائلان لا يدومان لأحد؛ فهما ودائع لا بدَّ أن تردَّ إلى صاحبها يومًا من الأيام.

-91-

جود معن [2]

أَيا جُودَ مَعْنٍ ناجِ مَعْنًا بِحاجَتِي فَمـا لِي إِلَى مَعْنٍ سِواكَ شَفِيعُ

---

(1) الإحياء 3/ 373، من الطويل، للبيد بن ربيعة في ديوانه ص89.
(2) الإحياء 4/ 26، من الطويل.

[إ] كـان مَعـن بـن زائـدة عـاملاً علـى العراقيين بالبصرة، فحضر بابه شاعر، فأقام مدَّة وأراد الدُّخـول علـى معـن فلـم يتهيأ له، فقال يومًا لبعض خدَّام معن: إذا دخل الأمير البستان فعرفني، فلما دخل الأمير البستان أعلمه، فكتب الشَّاعر بيتًا على خشبةٍ وألقاها في المـاء الـذي يـدخل البـستان، وكـان معـن على رأس الماء، فلما بصر بالخشبة أخذها وقـرأها، فإذا مكتوب عليها [البيت]، فقال: مَن صاحب هذه؟ فدعي بالرجل، فقال له: كـيف قلـت؟ فقالـه، فأمر له بعشر بِدَر [1]، فأخذها، ووضع الأمير الخشبة تحت بساطه، فلمـا كـان الـيوم الثَّاني أخرجها من تحت البساط وقرأها، ودعا بالرجل فدفع إليه مائة ألـف درهم، فلما أخذها الرَّجل تفكر، وخاف أن يأخذ منه ما أعطاه، فخرج، فلما كان في الـيوم الـثَّالث، قرأ ما فيها، ودعا بالرَّجل فطُلب فلم يوجد، فقال معن: حقٌّ عليَّ أن أعطيه حتَّى لا يبقى في بيت مالي درهمٌ ولا دينار.

[ش] إذا كـان المخلوق يُتوسَّل إليه بما عُهِد منه من الكرم، فالله تعالى وهو خير الرازقين أجدر بأن يُتوسَّل إليه ولا يُقصَد سواه.

-92-

الدنيا أحلام [2]

أَحْـلاَمُ نَـوْمٍ أَوْ كَظِـلٍّ زائِلٍ إِنَّ اللَّبِيبَ بِمِثْلِها لاَ يُخْدَعُ

[إ] الدنـيا سـريعة الفـناء، قـريبة الانقـضاء، تَعِدُ بالبقاء ثمَّ تُخلف في الوفاء، تنظر إليها فتراهـا سـاكنةً مـستقرَّة، وهـي سائرةٌ سيرًا عنيفًا، ومرتحلةٌ ارتحالاً سريعًا، ولكنَّ النَّاظر إلـيها قد لا يُحِسُّ بحركتها فيطمئنُّ إليها، وإنَّما يُحِسُّ عند انقضائها، ومثالها الظِّلُّ؛ فإنَّه متحـرِّكٌ سـاكن: متحـرِّكٌ في الحقيقة ساكن الظَّاهر، لا تدرَك حركته بالبصر الظَّاهر، بل بالبصيرة الباطنة.

(1) بِدَر: جمع بَدْرَة، والبدرة: عشرة آلاف درهم.
(2) الإحياء 3/ 381، من الكامل، للحسن البصري رحمه الله.

قـال يـونس بـن عبـيد: مـا شبَّهت نفسي في الدُّنيا إلاَّ كرجلٍ نام فرأى في منامه ما يكـره ومـا يُحبُّ، فبينما هو كذلك إذ انتبه، فكذلك النَّاس نيام، فإذا ماتوا انتبهوا، فإذا لـيس بأيـديهم شـيءٌ مِمَّـا ركنوا إليه وفرحوا به، وقيل لبعض الحكماء: أيُّ شيءٍ أشبه بالدُّنيا؟ قال: أحلام النَّائم.

[ش] سـرعة انقـضاء الدُّنـيا تجعلـها أشبه بالحلم، وتُوجب عدم الرُّكون إليها والانخداع بزخرفها.

-93-

صنائع المعروف (1)

إنَّ الــصَّنِيعَةَ لا تَكُــونُ صَــنِيعَةً   حَتَّـى يُصابَ بِها طَرِيقُ الْمَصْنَعِ

فَـإِذا اصْـطَنَعْتَ صَنِيعَةً فاعْمَدْ بِها   للهِ أَوْ لِـــذَوِي الْقَــرابَةِ أَوْ دَعِ

[إ] قال عبد الله بن جعفر: إنَّ هذين البيتين ليُبخِّلان النَّاس، ولكن أمطر المعروف مطرًا، فإن أصاب الكرام كانوا له أهلاً، وإن أصاب اللِّئام كنت له أهلاً، قال الأصمعيُّ: كتب الحسن بـن علـيٍّ إلى الحسين بن عليٍّ رضوان الله عليهم يعتب عليه في إعطاء الشُّعراء، فكتب إليه: خير المال ما وُقيَ به العِرض.

وقـيل لـسفيان بـن عيينة: ما السَّخاء؟ قال: السَّخاء البرُّ بالإخوان والجود بالمال، قـال: وورث أبـي خمـسين ألف درهمٍ فبعث بها صررًا إلى إخوانه وقال: قد كنت أسأل الله تعـالى لإخواني الجنَّة في صلاتي، أفأبخل عليهم بالمال؟ وقال الحسن: بذل المجهود في بـذل الموجـود منتهـى الجـود، وقـيل لبعض الحكماء: مَن أحبُّ النَّاس إليك؟ قال: مَن كثُرت أياديه عندي، قيل: فإن لم يكن؟ قال: مَن كثرت أياديَّ عِنده.

(1) الإحياء 4/ 24، من الكامل.

-94-

كرم النبي ﷺ (1)

وَمـا كـانَ بَـدْرٌ ولا حـابِسٌ ... يَـسُودانِ مِـرْداسَ في مَجْمَـعِ
وَمـا كُـنْتُ دُونَ امْـرِىءٍ مِنْهُما ... وَمَـنْ تَـضَعِ الـيَوْمَ لا يُـرْفَعِ

[إ] لَمَّا قسم رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم الغنائم يوم حنين، أمر للعباس بن مرداس بأربـع قلائص، فاندفع يشكو في شعر له وفي آخره [هذين البيتين]، فقال صلَّى الله عليه وسـلَّم : " اقطعـوا عنِّي لسانه " ، فذهب أبو بكر الصِّدِّيق رضي الله عنه حتَّى اختار مائةً مـن الإبـل، ثم رجع وهو من أرضى النَّاس، فقال له صلَّى الله عليه وسلَّم : " أتقول فيَّ الـشِّعر؟ " فجعـل يعتذر إليه ويقول: بأبي أنت وأمي، إني لأجد للشعر دبيبًا على لساني كدبيب النمل، ثم يقرصني كما يقرص النمل، فلا أجد بدًّا من قول الشِّعر، فتبسم صلَّى الله عليه وسلَّم وقال: " لا تدع العرب الشِّعر حتَّى تدع الإبل الحنين " .

-95-

الدنيا بين حالين (2)

لاَ تَـبْخَلَنَّ بِدُنْـيا وَهْـيَ مُقْـبِلَةٌ ... فَلَـيْسَ يُنْقِـصُها التَّبْذِيرُ وَالسَّرَفُ
وَإِنْ تَـوَلَّتْ فَأَحْـرَى أَنْ تَجُود بِها ... فَالْحَمْدُ مِنْها إِذا ما أَدْبَرَتْ خَلَفُ

[إ] قـال علـيٌّ كـرَّم الله وجهـه: إذا أقبلت عليك الدُّنيا فأنفق منها؛ فإنَّها لا تفنى، وإذا أدبـرت عـنك فأنفق منها، فإنَّها لا تبقى، وسأل معاوية الحسن بن عليٍّ رضي الله عنهم عـن المـروءة والـنَّجدة والكـرم، فقـال: أمَّـا المـروءة فحفظ الرَّجل دينه، وحذره نفسه، وحـسن قـيامه بضيفه، وحسن المنازعة، والإقدام في الكراهية، وأمَّا النَّجدة، فالذَّبُّ عن

(1) الإحـياء 3/ 272، مـن المـتقارب، للعـباس بن مرداس، والرواية الصحيحة في الأغاني 14/ 300:
وما كان حصن ولا حابس*يفوقان مرداس في مجمع.
(2) الإحياء 4/ 23، من البسيط، للإمام علي رضي الله عنه، وهي باختلاف يسير في ديوانه ص134.

الجـار، والـصَّبر في المـواطن، وأمَّـا الكـرم، فالتَّبرُّع بالمعروف قبل السؤال، والإطعام في المَحْل [1]، والرأفة بالسَّائل مع بذل النَّائل.

[ش] إذا كـان المـرء في حال الغِنى فلن ينقص الكرم والجود من غناه، وإذا كان في حال الفقر فلن يُغنيه الشُّحُّ والبخل، بل ربَّما أَعطَى فحُمِد فكان الحمد خيرًا له.

-96-

لا بقاء للدنيا [2]

يـا أَهْـلَ لَذَّاتِ دُنْيا لا بَقاءَ لَها   إِنَّ اغْتِـرارًا بِظِـلٍّ زائِلٍ حُمُقُ

[إ] قـال الفـضيل بن عياض: قال ابن عبَّاس: يُؤتى بالدُّنيا يوم القيامة في صورة عجوزٍ شمطـاء زرقـاء أنـيابها باديـة ومـشوَّه خلقها، فتُشرف على الخلائق فيُقال لهم: أتعرفون هـذه؟ فـيقولون: نعـوذ بـالله مـن معرفة هذه، فيُقال: هذه الدُّنيا الَّتي تناحرتم عليها، بها تقاطعتم الأرحام، وبها تحاسدتم وتباغضتم واغتررتم، ثمَّ يُقذف بها في جهنَّم فتنادي: أي ربِّ، أين أتباعي وأشياعي؟ فيقول الله عز وجل: ألحقوا بها أتباعها وأشياعها.

وقال الفضيل: بلغني أنَّ رجلاً عرج بروحه فإذا امرأةٌ على قارعة الطَّريق عليها من كـلِّ زيـنةٍ مـن الحلـي والثِّـياب، وإذا لا يمرُّ بها أحدٌ إلاَّ جرحته، فإذا هي أدبرت كانت أحـسنَ شـيءٍ رآه الـنَّاس، وإذا هـي أقبلت كانت أقبح شيءٍ رآه النَّاس، عجوزٌ شمطاء زرقـاء عمـشاء، قـال: فقلـت: أعـوذ بالله منكِ، قالت: لا والله لا يعيذك الله منِّي حتَّى تبغض الدِّرهم، قال: فقلت: مَن أنتِ؟ قالت: أنا الدُّنيا.

[ش] الدنـيا زائلة ولا بقاء لها، فمِن الحُمق أن يركن المرء إليها وينغمس في لذَّاتِها ويغترَّ بظلِّها الزائل.

---

(1) الْمَحْل: الجدب وانقطاع المطر.
(2) الإحياء 3/ 381، من البسيط، للحسن بن علي رضي الله عنهما.

-97-

عداوة الدنيا [1]

إِذا امْتَحَنَ الدُّنْيا لَبِيبٌ تَكَشَّفَتْ　　لَـهُ عَنْ عَدُوٍّ في ثِيابِ صَدِيقِ

[إ] قال لقمان لابنه: يا بنيَّ، بِع دنياك بآخرتك تربحهما جميعًا، ولا تبع آخرتك بدنياك تخسرهما جميعًا، وقال مطرِّف بن الشِّخِّير: لا تَنظر إلى خفض عيش الملوك ولين رياشهم، ولكن انظر إلى سرعة ظعنهم وسوء منقلبهم.

وقال ابن عبَّاس: إنَّ الله تعالى جعل الدُّنيا ثلاثة أجزاء: جزءٌ للمؤمن، وجزءٌ للمنافق، وجزءٌ للكافر، فالمؤمن يتزوَّد، والمنافق يتزيَّن، والكافر يتمتَّع، وقال بعضهم: الدُّنيا جيفة، فمَن أَرادَ منها شيئًا فليصبر على معاشرة الكلاب.

[ش] اللبيب يرى الدنيا عدوًّا يلبس ثوب الصديق، ولهذا يكون فيها على حذر ويتوقَّى الغَرر.

-98-

حسن الظن [2]

لَقَـدْ أَحْسَنَ اللهُ فِيما مَضَى　　كَـذلِكَ يُحْـسِنُ فِيما بَقِي

[إ] من غرور الكفَّار بالله أنَّهم يقولون: قد أحسن الله إلينا بنعيم الدُّنيا، وكلُّ محسنٍ فهو محبٌّ، وكلُّ محبٍّ فإنَّه يحسن أيضًا في المستقبل، وإنَّما يقيس المستقبل على الماضي بواسطة الكرامة والحبِّ؛ إذ يقول: لولا أنِّي كريمٌ عند الله ومحبوبٌ لَما أحسن إليَّ، والتَّلبيس تحت ظنِّه أنَّ كلَّ محسنٍ محبٌّ، لا بل تحت ظنِّه أنَّ إنعامه عليه في الدُّنيا إحسان، فقد اغترَّ بالله إذ ظنَّ أنَّه كريمٌ عنده بدليلٍ لا يدلُّ على الكرامة، بل عند ذوي البصائر يدلُّ على الهوان.

---

(1) الإحياء 3/ 373، من الطويل، لأبي نواس في المثل السائر 1/ 396.

(2) الإحياء 4/ 194، من المتقارب.

ومـثاله أن يكون للرَّجل عبدان صغيران يبغض أحدهما ويحبُّ الآخر، فالَّذي يحبُّه يمـنعه مـن اللِّعـب، ويلزمه المكتب ويحبسه فيه ليعلِّمه الأدب، ويمنعه من الفواكه وملاذِّ الأطعمة الَّتي تضرُّه، ويسقيه الأدوية الَّتي تنفعه، والَّذي يبغضه يهمله ليعيش كيف يريد، فـيلعب، ولا يـدخل المكـتب، ويأكـل كـلَّ ما يشتهي، فيظنُّ هذا العبد الْمُهمَل أنَّه عند سيِّده محبوبٌ كريم؛ لأنَّه مكَّنه من شهواته ولذَّاته، وساعده على جميع أغراضه فلم يمنعه ولم يحجر عليه، وذلك محض الغرور.

وهكـذا نعيم الدُّنيا ولذَّاتها؛ فإنَّها مهلكاتٌ ومبعداتٌ من الله، فإنَّ الله يحمي عبده من الدُّنيا وهو يحبُّه كما يحمي أحدكم مريضه من الطَّعام والشَّراب وهو يحبُّه، هكذا ورد في الخبر عن سيِّد البشر.

وكـان أربـاب البصائر إذا أقبلت عليهم الدُّنيا حزنوا وقالوا: ذنبٌ عُجِّلت عقوبته، ورأوا ذلـك علامـة المقـت والإهمـال، وإذا أقـبل علـيهم الفقـر قالـوا: مـرحبًا بـشعار الـصَّالحين، والمغرور إذا أقبلت عليه الدُّنيا ظنَّ أنَّها كرامةٌ من الله، وإذا صُرفتْ عنه ظنَّ أنَّها هوان.

[ش] حـسن الظَّـنِّ في غير محلِّه من الغرور، وذلك إذا ظنَّ مَن أنعم الله عليه أنَّ النِّعمة كرامة ورضى من الله، وأنَّه لن يحاسبه ولن يعذِّبه، فيستمرُّ فيما هو فيه من المعاصي، ولا يراقب الله ولا يتَّقيه.

-99-

فضل الجود [1]

أَنْـتَ لِلْمـالِ إذا أَمْسَكْتَهُ   فَإِذا أَنْفَقْتَهُ فالْمالُ لَكْ

(1) الإحياء 4/ 23، من الرمل.

[إ] قـال جعفـر الـصادق رحمة الله عليه: لا مال أعون من العقل، ولا مصيبة أعظم من الجهل، ولا مظاهرة كالمشاورة، ألا وإنَّ الله عزَّ وجلَّ يقول: إنِّي جوادٌ كريم، لا يجاورني لئـيم، واللُّؤم من الكفر، وأهل الكفر في النَّار، والجود والكرم من الإيمان، وأهل الإيمان في الجنَّة.

وقـال حذيفـة رضـي الله عـنه: رُبَّ فاجرٍ في دينه، أخرقَ في معيشته، يدخل الجنَّة بـسماحته، ورُوي أنَّ الأحـنف بـن قـيسٍ رأى رجـلاً في يـده درهـم، فقـال: لِمَن هذا الدِّرهم؟ فقال: لي، فقال: أما إنَّه ليس لك حتَّى يخرج من يدك.

[ش] مَن أمسك ماله كان رِقًّا للمال، والحرُّ الذي إذا ملك المال أنفق ولم يبخل.

-100-

السرور الزائل[1]

أَشَـدُّ الغَمِّ عِنْدِي في سُرُورٍ   تَـيَقَّنَ عَنْهُ صاحِبُهُ انْتِقالا

[إ] لا ينبغـي أن يفرح الإنسان بعروض الدُّنيا، وإن فرح فلا ينبغي أن يفرح بمدح المادح بها، بل بوجودها، والمدح ليس هو سبب وجودها، وإن كانت الصِّفة مِمَّا يستحقُّ الفرح بهـا ـ كـالعلم والـورع ـ فينبغـي أن لا يفـرح بهـا؛ لأنَّ الخاتمـة غير معلومة، وهذا إنَّما يقتضي الفرح لأنَّه يقرِّب عند الله زلفى، وخطر الخاتمة باقٍ، ففي الخوف من سوء الخاتمة شغلٌ عن الفرح بكلِّ ما في الدُّنيا، بل الدُّنيا دار أحزانٍ وغموم، لا دار فرحٍ وسرور، ثمَّ إن كـنت تفـرح بهـا على رجاء حسن الخاتمة فينبغي أن يكون فرحك بفضل الله عليك بـالعلم والـتَّقوى، لا بمـدح المادح، فإنَّ اللذة في استشعار الكمال، والكمال موجودٌ من فـضل الله لا مـن المـدح، والمـدح تابـعٌ له، فلا ينبغي أن تفرح بالمدح، والمدح لا يزيدك فضلاً.

---

(1) الإحياء 4/ 75، من الوافر، للمتنبي، وهو في ديوانه ص140.

وإن كانـت الـصِّفة الَّـتي مُـدِحْتَ بها أنت خالٍ عنها ففرحك بالمدح غاية الجنون، ومـثالك مـثال مَـن يهزأ به إنسانٌ ويقول: سبحان الله! ما أكثر العطر الَّذي في أحشائه، ومـا أطـيب الـرَّوائح الَّتي تفوح منه إذا قضى حاجته، وهو يعلم ما تشتمل عليه أمعاؤه مـن الأقذار والأنتان ثمَّ يفرح بذلك، فكذلك إذا أثنوا عليك بالصَّلاح والورع ففرحت بـه والله مطَّلعٌ على خبائث باطنك وغوائل سريرتك وأقذار صفاتك كان ذلك من غاية الجهل.

[ش] يفقـد الـسرور قيمـته حـين يتـيقَّن صـاحبه أنَّـه غير دائم، فيصبح من الغمِّ لا من السُّرور.

-101-

الدنيا ظل (1)

أَلا إِنَّمـا الدُّنْـيا كَظِـلِّ ثَنِـيَّةٍ وَلا بُدَّ يَوْمًا أَنَّ ظِلَّكَ زائِلُ

[إ] يقال إنَّ أعرابيًّا نزل بقومٍ، فقدَّموا إليه طعامًا، فأكل ثمَّ قام إلى ظلِّ خيمةٍ لهم فنام هناك، فاقتلعوا الخيمة فأصابته الشَّمس، فانتبه فقام وهو يقول [البيت].

[ش] الدُّنـيا أشـبه بظـلٍّ يتحـرَّك ونحن لا نشعر، وما أسرع ما ينكشف هذا الظِّلُّ، فمَن اطمأنَّ له خسر.

-102-

صدق النّيَّة (2)

.... لَوْ صَحَّ مِنْكَ الْهَوَى أُرْشِدْتَ لِلْحِيَلِ

---

(1) الإحياء 3/ 381، من الطويل.

(2) الإحياء 4/ 227، من البسيط.

[إ] الإنسان إذا فترت همَّته في شيءٍ أظهر اليأس منه، واستعظم الأمر، واستوعر الطَّريق، وإذا صحَّ منه الهوى اهتدى إلى الْحِيَل، واستنبط بدقيق النَّظر خفايا الطُّرق في الوصول إلى الغرض، حتَّى إنَّ الإنسان إذا أراد أن يستنزل الطَّير الْمُحلِّق في جوِّ السَّماء مع بعده منه استنزله، وإذا أراد أن يخرج الحوت من أعماق البحر استخرجه، وإذا أراد أن يستخرج الذَّهب أو الفضَّة من تحت الجبال استخرجه، وإذا أراد أن يقتنص الوحوش المطلقة في البراري والصحاري اقتنصها، وإذا أراد أن يستسخر السِّباع والفيَلة وعظيم الحيوانات استسخرها، وإذا أراد أن يأخذ الحيَّات والأفاعي ويعبث بها أخذها واستخرج الدِّرياق من أجوافها، وإذا أراد أن يتَّخذ الدِّيباج الملوَّن المنقَّش من ورق التُّوت اتَّخذه، وإذا أراد أن يعرف مقادير الكواكب وطولها وعرضها استخرج بدقيق الهندسة ذلك وهو مستقرٌّ على الأرض، وكلُّ ذلك باستنباط الحيَل وإعداد الآلات، فسخَّر الفرسَ للرُّكوب، والكلبَ للصَّيد، وسخَّر البازي لاقتناص الطُّيور، وهيَّأ الشَّبكة لاصطياد السَّمك، إلى غير ذلك من دقائق حيَل الآدميِّ، كلُّ ذلك لأنَّ هَمَّه أمر دنياه، وذلك معينٌ له على دنياه.

فلو أهمَّه أمرُ آخرته فليس عليه إلاَّ شغلٌ واحد، وهو تقويم قلبه، فعجز عن تقويم قلبه وتخاذَل وقال: هذا محال، ومن الَّذي يقدر عليه؟ وليس ذلك بمحالٍ لو أصبح وهمُّه هذا الهم الواحد، فهذا شيءٌ لم يعجز عنه السَّلف الصَّالحون ومن اتَّبعهم بإحسان، فلا يعجز عنه أيضًا مَن صدقت إرادته وقويت همَّته، بل لا يحتاج إلى عُشر تعب الخلق في استنباط حيل الدُّنيا ونظم أسبابها.

[ش] صدق النيَّة في طلب الشيء ييسِّر الوصول إليه ويذلِّل المعوِّقات عنه.

-103-

الغنى في القناعة [1]

حَتَّى مَتَى أَنا فِي حِلٍّ وتَرْحالِ وَطُولِ سَعْيٍ وَإِدْبارٍ وَإِقْبالِ

(1) الإحياء 4/ 15، من البسيط.

وَنــازِحُ الــدَّارِ لا أَنْفَــكُّ مُغْتَــرِبًا	عَــنِ الأَحِــبَّةِ لا يَــدْرُونَ مــا حالــي
بِمَـشْرِقِ الأَرْضِ طَـوْرًا ثُـمَّ مَغْـرِبِها	لا يَخْطُرُ المَوْتُ مِنْ حِرصِي على بالي
وَلَـوْ قَـنَعْتُ أَتانِـي الـرِّزْقُ في دَعَـةٍ	إِنَّ القُـنُوعَ [1] الغِنَـى لا كَثْـرَةُ الْمـالِ

[إ] قيل لبعض الحكماء: أيُّ شيءٍ أسرُّ للعاقل؟ وأيما شيء أعون على دفع الحزن؟ فقلا: أسرُّها إليه ما قدم من صالح العمل، وأعونها له على دفع الحزن الرِّضا بمحتوم القضاء.

وقال بعض الحكماء: وجدت أطول النَّاس غمًّا الحسود، وأهنأهم عيشًا القنوع، وأصبرهم على الأذى الحريص إذا طمع، وأخفضهم عيشًا أرفضهم للدُّنيا، وأعظمهم ندامةً العالم المفرِّط.

[ش] الغنى الحقيقي في الرِّضا والقناعة، لا في طلب المزيد من عرض الدنيا، فربَّما كان ثمن الحرص على الغنى الاغتراب والحرمان من الأهل.

-104-

انتقال الدنيا [2]

هَـبِ الدُّنْـيا تُساقُ إِلَيْكَ عَفْوًا	أَلَـيْسَ مَـصِيرُ ذاكَ إِلَى انْتِقالِ؟
وَمـا دُنْـياكَ إِلاَّ مِـثْلُ فَـيْءٍ	أَظَلَّــكَ ثُــمَّ آذَنَ بِالــزَّوالِ

[إ] قال رجلٌ لأبي حازم: أشكو إليك حبَّ الدُّنيا وليست لي بدار، فقال: انظر ما آتاكه الله عزَّ وجلَّ منها فلا تأخذه إلاَّ من حلِّه ولا تضعه إلاَّ في حقِّه، ولا يضرُّك حبُّ الدُّنيا، وإنَّما قال هذا لأنَّه لو أخذ نفسه بذلك لأتعبه حتَّى يتبرَّم بالدُّنيا ويطلب الخروج منها.

---

(1) القنوع هنا بمعنى الرضا، وأصله بمعنى السؤال والتذلُّل.

(2) الإحياء 3/ 373، من الوافر، والأول من البيتين في ديوان الإمام علي ص157.

وقال يحيى بن معاذ: الدُّنيا حانوت الشَّيطان، فلا تسرق من حانوته شيئًا فيجيء في طلبه فيأخذك، وقال الفضيل: لو كانت الدُّنيا مِن ذهبٍ يفنى والآخرة مِن خزفٍ يبقى لكان ينبغي لنا أن نختار خزفًا يبقى على ذهبٍ يفنى، فكيف وقد اخترنا خزفًا يفنى على ذهبٍ يبقى؟

[ش] الدنيا ـ أيًّا كان حالنا فيها ـ سريعة الانتقال، لا تدوم.

-105-

حال الكرماء [1]

أَرى نَفْسِي تَتُوقُ إِلَى أُمُورٍ يُقَصِّرُ دُونَ مَبْلَغِهِنَّ مالِي
فَنَفْسِي لا تُطاوِعُنِي بِبُخْلٍ وَمالِي لا يُبَلِّغُنِي فِعالِي

[إ] عن أبي ثور قال: أراد الشَّافعي الخروج إلى مكة ومعه مال ـ وكان قلَّما يمسك شيئًا من سماحته ـ فقلت له: ينبغي أن تشتري بهذا المال ضيعةً تكون لك ولولدك، قال: فخرج، ثم قدم علينا، فسألته عن ذلك المال، فقال: ما وجدت بمكة ضيعة يمكنني أن أشتريها؛ لمعرفتي بأصلها، وقد وُقِف أكثرها، ولكني بنيت بمنى مضربًا، يكون لأصحابنا إذا حجُّوا أن ينزلوا فيه.

[ش] يطمح الكرماء دائمًا إلى فعل الخير، وربَّما قصَّر مالهم عن تحقيق ما يريدونه، لكنَّ نفوسهم لا تطاوعهم بالبخل.

-106-

في وصفه ﷺ [2]

وَمُبَرَّأً مِنْ كُلِّ غبْرِ حَيْضَةٍ وَفَسادِ مُرْضِعَةٍ وداءِ مغَيِّلِ

(1) الإحياء 4/ 29، من الوافر، للإمام الشافعي في ديوانه ص83.
(2) الإحياء 3/ 271، من الكامل، لأبي كبير الهذلي.

وَإِذا نَظَـرْتَ إلى أَسِـرَّةِ وَجْهِـهِ بَـرَقَتْ كَبَـرْقِ العارِضِ الْمُتَهَلِّلِ

[إ] قالـت عائـشة رضـي الله عـنها: كان رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم يخصف نعله، وكـنت جالـسة أغـزل، فنظرت إليه فجعل جبينه يعرق وجعل عرقه يتولَّد نورًا، قالت: فـبُهتُّ، فنظـر إلـيَّ فقـال: "مـا لكِ بُهتِّ؟"، فقلت: يا رسول الله، نظرت إليك فجعل جبيـنك يعـرق، وجعـل عـرقك يـتولَّد نـورًا، ولـو رآك أبو كبير الهذليُّ لعلم أنَّك أحقُّ بـشِعره، قـال: "ومـا يقـول يا عائشة أبو كبير الهذلي؟"، قلت: يقول هذين البيتين، قال فوضع صلَّى الله عليه وسلَّم ما كان بيده وقام إليَّ وقبَّل ما بين عينيَّ وقال: "جزاكِ اللهُ خيرًا يا عائشة، ما سُرِرْتِ منِّي كسُروري منكِ".

-107-

عفو الملوك وعقابها [1]

تَعْفُو الْمُلُوكُ عَنِ الْعَظِيـ ـمِ مِنَ الذُّنُوبِ بِفَضْلِها
وَلَقَـدْ تُعاقِـبُ فِي الْيَسِيـ ـرِ وَلَـيْسَ ذاكَ لِجَهْلِهـا
إِلاَّ لِيُعْـــرَفَ حِلْمُهـــا وَيُخـافَ شِـدَّةُ دَخْلِهـا

[إ] قـال مـسلم بـن يسار لرجلٍ دعا على ظالمه: كِلِ الظَّالم إلى ظلمه؛ فإنَّه أسرع إليه مِن دعائـك علـيه، إلاَّ أن يتداركه بعمل، وقَمِنٌ أن لا يفعل، وعن ابن عمر عن أبي بكر أنَّه قـال: بلغنا أنَّ الله تعالى يأمر مناديًا يوم القيامة فينادي: مَن كان له عند الله شيءٌ فليقم، فيقوم أهل العفو فيكافئهم الله بما كان من عفوهم عن النَّاس، وعن هشام بن محمَّد قال: أُتي النُّعمان بن المنذر برجلين قد أذنب أحدهما ذنبًا عظيمًا فعفا عنه، والآخر أذنب ذنبًا خفيفًا فعاقبه وقال [الأبيات].

[ش] بالعفـو والعقـوبة يُعرَف حِلم الملوك وبأسهم، فقد يعفون عن العظيم من الذنوب

(1) الإحياء 3/ 342، من الكامل، للنعمان بن المنذر.

ويعاقبون على اليسير منها.

-108-

مَثل طالب الدنيا (1)

أَرَى طالِبَ الدُّنْيا وَإِنْ طالَ عُمْرُهُ   وَنـالَ مِنَ الدُّنْيا سُرُورًا وَأَنْعُما
كـــبانٍ بَنَـــى بُنْـــيانَهُ فَأَقامَـــهُ   فَلَمَّـا اسْتَوى ما قَدْ بناهُ تَهَدَّما

[إ] قـال بعـض الحكمـاء: كانت الدُّنيا ولم أكن فيها، وتذهب الدُّنيا ولا أكون فيها، فلا أسـكن إلـيها؛ فإنَّ عيشها نكد، وصفوها كدر، وأهلها منها على وجل، إمَّا بنعمةٍ زائلةٍ، أو بليِّةٍ نازلة، أو منيَّة قاضية.

وقال بعضهم: مِن عيب الدُّنيا أنَّها لا تُعطي أحدًا ما يستحقُّ، لكنَّها إمَّا أن تزيد وإمَّا أن تنقص، وقال سفيان: أما ترى النِّعم كأنَّها مغضوبٌ عليها قد وُضِعت في غير أهلها؟ وقال أبو سليمان الدَّاراني: من طلب الدُّنيا على المحبَّة لها لم يُعط منها شيئًا إلاَّ أراد أكثر، ومن طلب الآخرة على المحبَّة لها لم يُعط منها شيئًا إلاَّ أراد أكثر، وليس لهذا غاية.

[ش] طالـب الدُّنـيا يطلـب ما ليس باقيًا، فكأنَّه يبني بنيانًا يؤول إلى الهدم والخراب بعد تمامه.

-109-

العفو والصفح (2)

سَـأُلْزِمُ نَفْسِي الصَّفْحَ عَنْ كُلِّ مُذْنِبٍ   وَإِنْ كَثُـرَتْ مِـنْهُ عَلَـيَّ الْجَـرائِمُ

---

(1) الإحياء 3/ 373، من الطويل.

(2) الإحياء 3/ 336، من الطويل، لمحمود الوراق.

وَمـا الـنَّاسُ إلاَّ واحِـدٌ مِـنْ ثَلاثَـةٍ	شَـرِيفٌ وَمَـشْرُوفٌ وَمِـثْلٌ مُقـاوِمُ
فَأَمَّـا الَّـذِي فَوْقِـي فَأَعْـرِفُ قَـدْرَهُ	وَأَتْـبَعُ فِـيهِ الْحَـقَّ وَالْحَـقُّ لازِمُ
وَأَمَّـا الَّذِي دُونِي فَإِنْ قالَ صُنْتُ عَنْ	إجابَـتِهِ عِرْضِـي وَإِنْ لامَ لائِـمُ
وَأَمَّـا الَّـذِي مِثْلِـي فَـإِنْ زَلَّ أَوْ هَفـا	تَفَـضَّلْتُ إِنَّ الفَـضْلَ بِالْحِلْمِ حاكِمُ

[إ] دخـل علـى بعـض الحكمـاء صـديقٌ له، فقدَّم إليه طعامًا، فخرجت امرأة الحكيم ـ وكانت سيِّئة الْخُلُق ـ فرفعت المائدة وأقبلت على شتم الحكيم، فخرج الصَّديق مغضَبًا، فتـبعه الحكـيم وقـال لـه: تذكـرُ يـومَ كـنَّا في منزلك نَطعَم فسقطت دجاجةٌ على المائدة فأفـسدت مـا علـيها فلـم يغـضب أحـدٌ مِنَّا؟ قال: نعم، قال فاحسب أنَّ هذه مثل تلك الدَّجاجة، فسُرِّيَ عن الرَّجل غضبُه وانصرف وقال: صدق الحكيم، الْحِلْم شفاءٌ من كل ألم، وضـرب رجـلٌ قـدم حكيمٍ فأوجعه فلم يغضب، فقيل له في ذلك فقال: أقمته مقامَ حجَرٍ تعثَّرت به فذبحت الغضب.

[ش] العفو والصَّفح طبع الحكماء من النَّاس، ومَن يخطِئ في حقِّك إمَّا أن يكون فوقك قـدرًا أو دونك أو مساويًا لك، فمن كان فوقك سامحته لشرفه، ومَن كان دونك ترفَّعت عن إجابته بمثل فعله، ومَن كان مساويًا لك فالفضل لك عليه إذا عفوت.

-110-

حالان للدنيا [1]

وَمَـنْ يَحْمَـدِ الدُّنْـيا لِعَـيْشٍ يَـسُرُّهُ	فَسَوْفَ ـ لَعَمْرِي ـ عَنْ قَلِيلٍ يَلُومُها
إذا أَدْبَـرَتْ كانَتْ عَلَى الْمَرْءِ حَسْرَةً	وَإِنْ أَقْـبَلَتْ كانَـتْ كَـثِيرًا هُمُـومُها

[إ] قـال لقمان عليه السَّلام لابنه: يا بنيَّ، إنَّ الدُّنيا بحرٌ عميق، وقد غرق فيه ناسٌ كثير، فلـتكن سـفينتك فيه تقوى الله عزَّ وجلَّ، وحشوها الإيمان بالله تعالى، وشراعها التَّوكُّل

(1) الإحياء 3/ 372، من الطويل، للإمام علي رضي الله عنه في ديوانه ص181.

على الله عز وجل، لعلَّك تنجو وما أراك ناجيًا، وقال الفضيل: طالت فكرتي في هذه الآية ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا. وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا ﴾[1].

وقال بعض الحكماء: إنَّك لن تُصبح في شيءٍ من الدُّنيا إلاَّ وقد كان له أهلٌ قبلك وسيكون له أهلٌ بعدك، وليس لك من الدُّنيا إلاَّ عشاءُ ليلةٍ وغداءُ يوم، فلا تهلك في أكله، وصُمْ عن الدُّنيا وأَفطِرْ على الآخرة، وإنَّ رأس مال الدُّنيا الهوى، وربحها النَّار.

وقيل لبعض الرُّهبان: كيف ترى الدَّهر؟ قال: يُخلق الأبدان ويجدِّد الآمال، ويقرِّب الْمَنِيَّة، ويبعِّد الأمنيَّة، قيل: فما حال أهله؟ قال: من ظفر به تعب، ومن فاته نصب.

[ش] للدنيا حالان: تُدبِر عن المرء فيتحسَّر على ما فاته من لذَّاتها، وتُقبِل عليه فيحمِل همَّها ويتعب في خدمتها.

-111-

بين الخيانة والإثم[2]

فَأَنْتَ امْرُؤٌ إِمَّا ائْتَمَنْتُكَ خالِيًا ... فَخُنْتَ وَإِمَّا قُلْتَ قَوْلاً بِلا عِلْمِ
فَأَنْتَ مِنَ الأَمْرِ الَّذِي كانَ بَيْنَنا ... بِمَنْزِلَةٍ بَيْنَ الْخِيانَةِ وَالإِثْمِ

[إ] قال رجلٌ لعمرو بن عبيد: إنَّ الأسواري ما يزال يذكرك في قصصه بشرٍّ، فقال له عمرو: يا هذا، ما رعيت حقَّ مجالسة الرَّجل حيث نقلت إلينا حديثه، ولا أدَّيت حقِّي حين أعلمتَني عن أخي ما أكره، ولكنْ أَعلِمْهُ أنَّ الموت يعمُّنا والقبر يضمُّنا والقيامة تجمعنا، والله تعالى يحكم بيننا وهو خير الحاكمين.

(1) سورة الكهف، الآيتان 7، 8.
(2) الإحياء 3/ 309، من الطويل، لزياد الأعجم.

ورفـع بعض السُّعاة إلى الصَّاحب بن عبَّاد رقعةً نبَّه فيها على مال يتيمٍ يحمله على أخذه لكثرته، فوقَّع على ظهرها: (السِّعاية قبيحة وإن كانت صحيحة، فإن كنتَ أجريتَها مجـرى النُّـصح فخـسرانك فيها أفضل من الربح، ومعاذ الله أن نقبل مهتوكًا في مستور، ولولا أنَّك في خفارة شيبتك لقابلناك بما يقتضيه فعلك في مثلك، فتوَقَّ يا ملعون العيبَ؛ فإنَّ الله أعلم بالغيب، الميِّت رحمه الله، واليتيم جبره الله، والمال ثمَّره الله، والسَّاعي لعنه الله).

وقـال لقمـان لابـنه: يـا بـنيَّ، أوصـيك بخلالٍ إن تمسَّكت بهنَّ لم تزل سيِّدًا: ابسط خُلُقَـكَ للقـريب والبعيد، وأمسك جهلك عن الكريم واللَّئيم، واحفظ إخوانك، وصِل أقاربـك، وآمنهم من قبول قول ساعٍ أو سماع باغٍ يريد فسادك ويروم خداعك، وليكن إخوانك من إذا فارقتهم وفارقوك لم تعبهم ولم يعيبوك.

وقال بعضهم: النَّميمة مبنيَّةٌ على الكذب والحسد والنِّفاق، وهي أثافي الذُّلِّ، وقال بعـضهم: لو صحَّ ما نقله النَّمَّام إليك لكان هو المجترئ بالشَّتم عليك، والمنقول عنه أولى بحلمك؛ لأنَّه لم يقابلْك بشتمك، وعلى الجملة فشرُّ النَّمَّام عظيم ينبغي أن يُتوقَّى.

قال حَمَّاد بن سلمة: باع رجلٌ عبدًا وقال للمشتري: ما فيه عيبٌ إلاَّ النَّميمة، قال: رضـيت، فاشـتراه، فمكـث الغلام أيَّامًا ثمَّ قال لزوجة مولاه: إنَّ سيِّدي لا يحبُّك، وهو يـريد أن يتـسرَّى علـيكِ، فخذي الموسى واحلِقي من شعر قفاه عند نومه شعراتٍ حتَّى أسـحره علـيها فيحـبُّكِ، ثـم قـال للـزَّوج: إنَّ امرأتك اتَّخذت خليلاً وتُريد أن تقتلك، فتـناوَمْ لها حتَّى تعرف ذلك، فتناومَ لها فجاءت المرأة بالموسى، فظنَّ أنَّها تريد قتله، فقام إلـيها فقتلها، فجاء أهل المرأة فقتلوا الزَّوج ووقع القتال بين القبيلتين، فنسأل الله حسن التَّوفيق.

[ش] الـنَّمَّام إمَّـا أن يكـون خائـنًا لِمَن ائتمنه فنَقل عنه الكلام، وإمَّا أن يقول بغير علم وينشر الكذب والبهتان، وهو في الحالتين ذو ذنبٍ عظيم.

-112-
الورَع في المال [1]

إنِّـي وَجَدْتُ ـ فَلا تَظُنُّوا غَيْرَهُ ـ   أَنَّ الـتَّوَرُّعَ عِـنْدَ ذاكَ الـدِّرْهَمِ
فَـإِذا قَـدِرْتَ عَلَـيْهِ ثُـمَّ تَـرَكْتَهُ   فَـاعْلَمْ بِأَنَّ تُقاكَ تَقْوَى الْمُسْلِمِ

[إ] قـال الحسن: والله ما أعزَّ الدِّرهم أحدٌ إلاَّ أذلَّه الله، وقيل: إنَّ أوَّل ما ضُرب الدِّينار والـدِّرهم رفعهمـا إبلـيس، ثمَّ وضعهما على جبهته، ثمَّ قبَّلهما وقال: مَن أحبَّكما فهو عبدي حقًّا، وقال سميط بن عجلان: إنَّ الدَّراهم والدَّنانير أزِمَّة المنافقين، يُقادون بها إلى الـنَّار، وقـال يحيـى بـن معـاذ: الـدِّرهم عقرب، فإن لم تُحسن رُقيَته فلا تأخذْه؛ فإنَّه إن لدغك قتلك سُمُّه، قيل: وما رقيته؟ قال: أخذُه من حِلِّه ووضعه في حقِّه.

وقـال العـلاء بـن زيـاد: تمثَّلت لي الدُّنيا وعليها من كلِّ زينة، فقلت: أعوذ بالله من شـرِّك، فقالـت: إن سرَّك أن يعيذك الله منِّي فأبغض الدِّرهم والدِّينار؛ وذلك لأنَّ الدِّرهم والدِّيـنار همـا الدُّنـيا كلـها؛ إذ يُتوصَّل بهما إلى جميع أصنافها، فمن صبر عنهما صبر عن الدُّنيا.

[ش] المال ـ أو الدَّرهم والدِّينار ـ هو اختبار الوَرَع الَّذي لا ينجح فيه إلاَّ مَن أخذه من حلِّه ووضعه في حقِّه، فالتَّقوى الحقيقيَّة تظهر بذلك.

-113-
غدر الدنيا [2]

يا خاطِبَ الدُّنْيا إِلَى نَفْسِها   تَـنَحَّ عَـنْ خِطْبَـتِها تَسْلَمِ

---

(1) الإحياء 4/ 7، من الكامل.
(2) الإحـياء 3/ 373، مـن الـسريع، لأبـي العتاهية في البيان والتبيين 3/ 91، بلفظ (غرَّارة)، وليس في ديوانه.

إِنَّ الَّتِـي تَخْطِـبُ غَـدَّارَةٌ   قَـرِيبَةُ العُرْسِ مِنَ الْمَأْتَمِ

[إ] قـال أبـو الدَّرداء: من هوان الدُّنيا على الله أنَّه لا يُعصى إلاَّ فيها، ولا يُنال ما عنده إلاَّ بتركها.

[ش] لا يـسلم مَـن مالَ بقلبه إلى الدنيا وأراد التمتُّع بها، فسريعًا ما تمضي ويهلك، ولو أعرض عنها قلبه لَسلِم.

-114-

استغنِ بالدِّين (1)

أَرى رِجـالاً بِأَدْنَـى الـدِّينِ قَـدْ قَـنَعُوا   وَما أَراهُم رَضُوا فِي العَيْشِ بِالدُّونِ
فاسْتَغْنِ بِالدِّينِ عَنْ دُنْيا الْمُلُوكِ كَما اسْـ   ـتَغْنَـى الْمُلُـوكُ بِدُنْياهُمْ عَنِ الدِّينِ

[إ] قال عيسى عليه السلام: يا معشر الحواريين، ارضوا بدنيء الدُّنيا مع سلامة الدِّين كمـا رضـي أهـل الدُّنـيا بدنـيء الدِّين مع سلامة الدُّنيا، وقال عيسى عليه السَّلام، يا طالـب الدُّنـيا لتِـبر، تـركك الدُّنـيا أبـرُّ، وأوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام: يا موسـى، لا تـركننَّ إلى حُبِّ الدُّنيا، فلن تأتيَني بكبيرةٍ هي أشدُّ منها، ومرَّ موسى عليه الـسَّلام بـرجلٍ وهـو يبكـي ورجع وهو يبكي، فقال موسى: يا ربِّ، عبدك يبكي من مخافتك، فقال: يا ابن عمران، لو سال دماغه مع دموع عينيه ورفع يديه حتَّى يسقطا لم أغفر له وهو يحبُّ الدُّنيا.

قـال علـيٌّ رضـي الله عنه: من جُمع فيه ستُّ خصالٍ لم يدع للجنَّة مطلبًا ولا عن الـنَّار مهـربًا: أوَّلُهـا مـن عرف الله وأطاعه وعرف الشَّيطان فعصاه، وعرف الحقَّ فاتَّبعه وعرف الباطل فاتَّقاه، وعرف الدُّنيا فرفضها، وعرف الآخرة فطلبها.

---

(1) الإحياء 3/ 371، من البسيط، لابن المبارك رحمه الله في المستطرف 1/ 142.

وقـال الحـسن: رحـم الله أقوامًا كانت الدُّنيا عندهم وديعةً فأدوها إلى من ائتمنهم علـيها ثمَّ راحوا خِفافًا، وقال أيضًا رحمه الله: مَن نافسك في دينك فنافسْه، ومَن نافسك في دنياك فألقها في نحره.

-115-

مقصد العارفين[1]

كانَـــتْ لِقَلْبِـــيَ أَهْـــواءٌ مُفَـــرَّقَةٌ	فاسْـتَجْمَعَتْ مُـذْ رَأَتْـكَ العَـيْنُ أَهْوائِي
فَـصارَ يَحْـسِدُنِي مَـنْ كُـنْتُ أَحْسِدُهُ	وَصِرْتُ مَوْلَى الوَرَى مُذْ صِرْتَ مَوْلائِي
تَـــرَكْتُ لِلـــنَّاسِ دُنْـــياهُمْ وَدِيـــنَهُمُ	شُـــغْلاً بِذِكْـــرِكَ يـــا دِينِـــي وَدُنْيائِـــي

[إ] مقصد العارفين كلِّهم وصله ولقاؤه فقط؛ فهي قرَّة العين الَّتي لا تعلم نفسٌ ما أُخفِيَ لهم منها، وإذا حصلت انمحقت الهموم والشَّهوات كلُّها، وصار القلب مستغرقًا بنعيمها، فلـو أُلقـي في الـنَّار لم يُحِـسَّ بهـا لاستغراقه، ولو عُرض عليه نعيم الجنَّة لم يلتفت إليه؛ لكمال نعيمه وبلوغه الغاية الَّتي ليس فوقها غاية.

ولـيت شعري مَن لم يفهم إلاَّ حبَّ المحسوسات كيف يؤمن بلذَّة النَّظر إلى وجه الله تعـالى ومـا لـه صـورةٌ ولا شـكل؟ وأيُّ معنى لِوَعْد الله تعالى به عبادَه وذِكْرِه أنَّه أعظم الـنِّعم؟ بل من عرف الله عرف أنَّ اللَّذَّات المفرَّقة بالشَّهوات المختلفة كلها تنطوي تحت هذه اللَّذَّة.

[ش] حـين يحـصل الـيقين يصبح الهمُّ همًّا واحدًا هو رضا الحقِّ جل وعلا ومشاهدته، والاشتغال بذكره وعبادته عن الدُّنيا وما فيها.

(1) الإحياء 5/ 201، من البسيط.

-116-

شراب اليقين (1)

شَــرِبْنا شَــرابًا طَيِّــبًا عِــنْدَ طَــيِّبٍ كَــذاكَ شَــرابُ الطَّيِّــبِينَ يَطِــيبُ
شَرِبْنا وَأَهْرَقْنا عَلَى الأَرْضِ فَضْلَهُ وَلِلأَرْضِ مِنْ كأسِ الكِرامِ نَصِيبُ

[إ] بعـض الخلـق امـتلأت مـشكاتهم نـورًا مقتبـسًا مـن نـور الله تعـالى فى السماوات والأرض، وكـان زيـتهم أوَّلاً صـافيًا يكـاد يضيء ولو لم تمسسه نار، فمسَّته نارٌ فاشتعل نورًا على نور، فأشرقت أقطار الملكوت بين أيديهم بنور ربِّها، فأدركوا الأمور كلَّها كما هـي علـيه، فقـيل لهـم: تأدَّبوا بآداب الله تعالى واسكتوا، وإذا ذُكر القَدَر فأمسكوا؛ فإنَّ للحيطان آذانًا، وحواليكم ضعفاء الأبصار، فسيروا بسير أضعفكم، ولا تكشفوا حجاب الشَّمس لأبصار الخفافيش فيكون ذلك سبب هلاكهم.

فـتخلَّقوا بـأخلاق الله تعالى، وانزلوا إلى سماء الدُّنيا من منتهى علوِّكم ليأنس بكم الـضُّعفاء ويقتبـسوا مـن بقايا أنواركم المشرقة من وراء حجابكم، كما يقتبس الخفافيش مـن بقايا نور الشَّمس والكواكب فى جنح اللَّيل فيحيا به حياةً يحتملها شخصه وحاله، وإن كان لا يحيا به حياة المتردِّدين فى كمال نور الشَّمس.

[ش] ليس كلُّ ما يُعرف يقال، وأهل الشَّريعة والحقيقة مأمورون أن يخاطبوا النَّاس على قـدر عقـولهم؛ لـئلاَّ يقـع مـنهم تكذيبٌ لبعض الحقِّ الَّذي لا تدركه عقولهم وأفهامهم، ومثَّل ذلك بقول الشَّاعر؛ فليس كلُّ الشَّراب يُشرَب، ولكن يُراق بعضه أحيانًا.

-117-

طول الأمل (2)

فَمـا قَـضَى أَحَـدٌ مِنْها لُبانَتَهُ وَمـا انْتَهَى أَرَبٌ إِلاَّ إِلَى أَرَبِ

---

(1) الإحياء 4/ 354، من الطويل.
(2) الإحياء 6/ 85، من البسيط.

[إ] اعلم أنَّ طول الأمل له سببان: أحدهما الجهل، والآخر حبُّ الدُّنيا.

أمَّا حبُّ الدُّنيا فهو أنَّه إذا أنس بها وبشهواتها ولذَّاتها وعلائقها ثقل على قلبه مفارقتها، فامتنع قلبه من الفكر في الموت الَّذي هو سبب مفارقتها، وكلُّ مَن كره شيئًا دفعه عن نفسه، والإنسان مشغوفٌ بالأماني الباطلة، فيمنِّي نفسه أبدًا بما يوافق مراده، وإنَّما يوافق مراده البقاء في الدُّنيا، فلا يزال يتوهَّمه ويقدِّره في نفسه، ويقدِّر توابع البقاء وما يحتاج إليه من مالٍ وأهلٍ ودارٍ وأصدقاء ودوابٍّ وسائر أسباب الدُّنيا، فيصير قلبه عاكفًا على هذا الفكر موقوفًا عليه، فيلهو عن ذكر الموت فلا يقدِّر قربَه، فإن خطر له في بعض الأحوال أمر الموت والحاجة إلى الاستعداد له سوَّفَ ووعد نفسه وقال: الأيام بين يديك إلى أن تكبر ثمَّ تتوب، وإذا كبر فيقول: إلى أن تصير شيخًا، فإذا صار شيخًا قال: إلى أن تفرغ من بناء هذه الدَّار، وعمارة هذه الضَّيعة، أو ترجع من هذه السَّفرة، أو تفرغ من تدبير هذا الولد وجهازه وتدبير مسكنٍ له، أو تفرغ من قهر هذا العدوِّ الَّذي يشمت بك.

فلا يزال يسوِّف ويؤخِّر، ولا يخوض في شغلٍ إلاَّ ويتعلَّق بإتمام ذلك الشُّغل عشرة أشغالٍ أُخَر، وهكذا على التَّدريج يؤخِّر يومًا بعد يوم، ويُفضي به شغلٌ إلى شغل، بل إلى أشغال، إلى أن تختطفه المنيَّة في وقتٍ لا يحتسبه، فتطول عند ذلك حسرته، وأكثر أهل النَّار وصياحهم مِن (سوف)، يقولون: واحزناه من (سوف)، والمسوِّف المسكين لا يدري أنَّ الَّذي يدعوه إلى التَّسويف اليوم هو معه غدًا، وإنَّما يزداد بطول المدَّة قوَّةً ورسوخًا، ويظنُّ أنَّه يتصور أن يكون للخائض في الدُّنيا والحافظ لها فراغٌ قطُّ، وهيهات، فما يفرغ منها إلاَّ مَن طرحَها.

وأمَّا الجهل فهو أنَّ الإنسان قد يعوِّل على شبابه فيستبعد قرب الموت مع الشَّباب، وليس يتفكَّر المسكين أنَّ مشايخ بلده لو عُدُّوا لكانوا أقلَّ من عُشر رجال البلد، وإنَّما قلُّوا لأنَّ الموت في الشَّباب أكثر، فإلى أن يموت شيخٌ يموت ألف صبيٍّ وشابٍّ، وقد

يـستبعد المـوت لـصحَّته ويـستبعد المـوت فجأة، ولا يدري أنَّ ذلك غير بعيد، وإن كان ذلـك بعـيدًا فالمـرض فجـأةً غـير بعيد، وكلُّ مرضٍ فإنَّما يقع فجأة، وإذا مرض لم يكن الموت بعيدًا.

[ش] حاجات الدنيا وشهواتها لا تنتهي، وطول الأمل يغري بتأجيل العمل للآخرة بعد قضاء الحاجات الدنيوية، فيأتي الموت بغتة على غير استعداد.

-118-

كيف أشكو [1]

كَـيْفَ أَشْـكُو إِلَـى طَبِيبِيَ ما بِي   والَّـذِي بِـي أَصابَنِي مِنْ طَبِيبِي

[إ] قـال الجنيد: دخلت على سري السقطي أعوده في مرض موته، فقلت: كيف تجدك؟ فأنشأ يقول [البيت].

[ش] إذا كـان المـشكو إليه هو جالب سبب الشَّكوى فلا معنى للشكوى حينئذٍ؛ إذ هو بها أعلم.

-119-

الدوام عزيز [2]

لِكُـلٍّ إِلَـى شَـأْوِ العُـلا حَرَكاتُ   وَلَكِـنْ عَزِيـزٌ في الرِّجالِ ثَباتُ

[إ] الواصـلون إلى كمـال التَّوحـيد هـم الأقلُّون، والجاحدون والمشركون أيضًا قليلون، وهـم على الطرف الأقصى المقابل لطرف التَّوحيد؛ إذ عبدة الأوثان قالوا: ﴿مَا نَعۡبُدُهُمۡ

(1) الإحياء 6/ 117، من الخفيف، لسري السقطي.
(2) الإحـياء 4/ 342، من الطويل، لأبي القاسم عبد الواحد بن محمد بن علي بن الحريش الأصبهاني، يتيمة الدهر (محقق) 5/ 136.

﴿ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ ﴾[1]، فكانوا داخلين في أوائل أبواب التَّوحيد دخولاً ضعيفًا، والمتوسِّطون هم الأكثرون، وفيهم من تنفتح بصيرته في بعض الأحوال فتلوح له حقائق التَّوحيد، ولكن كالبرق الخاطف لا يثبت، وفيهم من يلوح له ذلك ويثبت زمانًا ولكن لا يدوم، والدوام فيه عزيز.

[ش] الوصول إلى المراتب العلية قد يكون كثيرًا، ولكنَّ القليل دوام هذه المراتب وثباتها.

-120-

صمت القبور[2]

تُناجِيكَ أَجْداثٌ وَهُنَّ صُمُوتُ ... وَسُكَّانُها تَحْتَ التُّرابِ خُفُوتُ

أَيا جامِعَ الدُّنْيا لِغَيْرِ بَلاغَةٍ ... لِمَنْ تَجْمَعُ الدُّنْيا وَأَنْتَ تَمُوتُ؟

[إ] وُجد البيتان مكتوبَين على قبر، وقال ثابت البناني: دخلت المقابر، فلمَّا قصدت الخروج منها فإذا بصوت قائلٍ يقول: يا ثابت، لا يغرَّنَّك صموت أهلها، فكم من نفسٍ مغمومةٍ فيها.

[ش] في القبور ـ وإن كانت صامتة ـ عظاتٌ وعِبَر؛ وجديرٌ بالحريصين على الدنيا أن يتَّعظوا بمَن جمعوا الدنيا قبلهم وماتوا.

-121-

محبَّة الله[3]

عَجِبْتُ لِمَنْ يَقُولُ ذَكَرْتُ إِلْفِي ... وَهَلْ أَنْسَى فَأَذْكُرُ ما نَسِيتُ ؟

---

(1) سورة الزمر، الآية 3.
(2) الإحياء 6/ 123، من الطويل.
(3) الإحياء 5/ 260، من الوافر.

أَمُـوتُ إذا ذَكَـرْتُكَ ثُـمَّ أَحْـيا	وَلَـوْلا حُـسْنُ ظَنِّـي ما حَيِيتُ
فَأَحْـيا بِالْمُنَـى وَأَمُـوتُ شَـوْقًا	فَكَـمْ أَحْـيا عَلَـيْكَ وَكَمْ أَمُوتُ
شَـرِبْتُ الْحُـبَّ كَأْسًا بَعْدَ كَأْسٍ	فَمـا نَفِـدَ الـشَّرابُ وَما رَوِيتُ
فَلَـيْتَ خَـيالَهُ نَـصْبٌ لِعَيْنِـي	فَـإِنْ قَصَّرْتُ فِي نَظَرِي عَمِيتُ

[إ] قالـت رابعـة العدويَّـة يـومًا: مَـن يدلُّنا على حبيبنا؟ فقالت خادمةٌ لها: حبيبنا معنا، ولكنَّ الدُّنيا قطعتنا عنه.

وقال ابن الجلاء رحمه الله تعالى: أوحى الله إلى عيسى عليه السَّلام: إنِّي إذا اطَّلعت على سرِّ عبدٍ فلم أجد فيه حبَّ الدُّنيا والآخرة (1)، ملأته من حبِّي، وتولَّيته بحفظي.

وقـيل: تكلَّم سمنون يومًا فى المحبَّة، فإذا بطائرٍ نزل بين يديه، فلم يزل ينقر بمنقاره الأرض حتَّى سال الدَّم منه فمات.

وقـال إبراهيم بن أدهم: إلهي، إنَّك تعلم أنَّ الجنَّة لا تزن عندي جناح بعوضة في جنب ما أكرمتني من محبَّتك، وآنستني بذكرك، وفرَّغتنى للتَّفكُّر في عظمتك.

وقـال السَّري رحمه الله: مَن أحبَّ الله عاش، ومَن مال إلى الدُّنيا طاش، والأحمق يغدو ويروح في لاش (2) ، والعاقل عن عيوبه فتَّاش.

[ش] المحـبُّ المخلص لا ينسى محبوبه ولو للحظة، وغلبة الشوق إلى لقائه تجعله كالميت، إلا أنَّ حسن الظنِّ وتوقُّع اللقاء يحييه، ولا غاية للحبِّ ولا نهاية، وكلُّ منى المحبِّ نظرةٌ دائمةٌ لمحبوبه، وهذا حال العارفين الَّذين أنِسوا بحبِّ الله.

---

(1) هكذا في الإحياء، ولعلَّ ذكر الآخرة هنا خطأ من الناسخ.
(2) لاش: أي لا شيء، والمعنى أنَّ الأحمق لا يستفيد شيئًا من حياته.

-122-

مصيبة الموت[1]

وَكانُـوا رَجـاءً ثُمَّ أَمْسَوْا رَزِيَّةً لَقَـدْ عَظُمَـتْ تِلْكَ الرَّزايا وَجَلَّتِ

[إ] يُـروى أنَّ فاطمـة بـنت الحسين نظرت إلى جنازة زوجها الحسن بن الحسن، فغطَّت وجهها وقالت [البيت]، وقيل إنَّها ضربت على قبره فسطاطًا واعتكفت عليه سنة، فلمَّا مـضت الـسَّنة قلعـوا الفـسطاط ودخلـت المدينة، فسمعوا صوتًا من جانب البقيع: هل وجدوا ما فقدوا؟ فسمعوا من الجانب الآخر: بل يئسوا فانقلبوا.

[ش] مـصيبة الـناس في مـوت كـرامهم أعظـم من مصيبتهم بفقد غيرهم؛ إذ هم رجاء الناس الذين ينزلون بهم حاجاتهم.

-123-

موعظة الجنائز[2]

تُـــرَوِّعُنا الْجَنائِـــزُ مُقْـــبِلاتٍ وَنَلْهُـو حِينَ تَـذْهَبُ مُدْبِـراتِ
كَـــرَوْعَةِ ثُلَّـــةٍ لِمُغـــارِ ذِئْـــبٍ فَلَمَّـا غـابَ عـادَتْ راتِعـاتِ

[إ] نظر إبراهيم الزَّيَّات إلى أناسٍ يترحَّمون على الميِّت، فقال: لو تَرحَّمون على أنفسكم لكان خيرًا لكم؛ إنَّه نجا من أهوالٍ ثلاثة: وجه ملك الموت وقد رأى، ومرارة الموت وقد ذاق، وخـوف الخاتمـة وقد أمن، وقال أبو عمرو بن العلاء: جلست إلى جرير وهو يملي علـى كاتـبه شعرًا، فأطلعت جنازةٌ فأمسك وقال: شيَّبتني والله هذه الجنائز، وأنشأ يقول [البيتين].

---

(1) الإحـياء 6/ 122، مـن الطـويل، لـسليمان بن قتَّة العدوي في الحماسة، انظر: شرح ديوان الحماسة للمرزوقي ص962، وصدر البيت فيها: (وكانوا غياثًا ثم أضحوا رزية).
(2) الإحـياء 6/ 120، مـن الوافـر، نسبه الغزالي إلى جرير، ونحوه في البيان والتبيين 3/ 103 لعروة بن أذينة الكناني، مع اختلاف في البيت الأول.

[ش] يتَّعظ النَّاس بالموت اتِّعاظًا وقتيًّا، وما إن تنتهي الجنازة حتَّى تلهيهم دنياهم ويعودوا لسابق عاداتهم، كما يخشى قطيع الغنم هجوم الذِّئب، فإذا غاب عاد القطيع يرتع.

-124-

أهل القبور (1)

قِفْ بِالْقُبُورِ وَقُلْ عَلَى ساحاتِها	مَنْ مِنْكُمُ الْمَغْمُورُ فِي ظُلُماتِها
وَمَنِ الْمُكَرَّمُ مِنْكُمُ فِي قَعْرِها	قَدْ ذاقَ بَرْدَ الأَمْنِ مِنْ رَوْعاتِها
أَمَّا السُّكُونُ لِذي الْعُيُونِ فَواحِدٌ	لا يَسْتَبِينُ الْفَضْلَ فِي دَرَجاتِها
لَوْ جاوَبُوكَ لأَخْبَرُوكَ بِأَلْسُنٍ	تَصِفُ الحَقائِقَ بَعْدُ مِنْ حالاتِها
أَمَّا الْمُطِيعُ فَنازِلٌ فِي رَوْضَةٍ	يُفْضِي إِلَى ما شاءَ مِنْ دَوْحاتِها
وَالْمُجْرِمُ الطَّاغِي بِها مُتَقَلِّبٌ	فِي حُفْرَةٍ يَأْوِي إِلَى حَيَّاتِها
وَعَقارِبٌ تَسْعَى إِلَيْهِ فَرُوحُهُ	فِي شِدَّةِ التَّعْذِيبِ مِنْ لَدَغاتِها

[إ] قال حاتم الأصمُّ: مَن مرَّ بالمقابر فلم يتفكَّر لنفسه ولم يدْعُ لهم فقد خان نفسه وخانهم، وكان بكر العابد يقول: يا أمَّاه، ليتكِ كنتِ بي عقيمًا؛ إنَّ لابنك في القبر حبسًا طويلا، ومن بعد ذلك منه رحيلا.

وقال يحيى بن معاذ: يا ابن آدم، دعاك ربُّك إلى دار السَّلام فانظر من أين تجيبه، إن أجبته من دنياك واشتغلت بالرِّحلة إليه دخلتها، وإن أجبته من قبرك مُنعتَها، وكان الحسن بن صالح إذا أشرف على المقابر يقول: ما أحسن ظواهرك، إنَّما الدَّواهي في بواطنك.

(1) الإحياء 6/ 123، من الكامل.

وكـان عطـاء السَّلمي إذا جنَّ عليه اللَّيل خرج إلى المقبرة ثمَّ يقول: يا أهل القبور، مـتُّم فوامـوتاه، وعاينـتم أعمـالكم فـواعملاه، ثم يقول: غدًا عطاءٌ في القبور، فلا يزال ذلـك دأبـه حتَّـى يـصبح، وقال سفيان: مَن أكثر من ذكر القبر وجده روضةً من رياض الجنَّة، ومن غفل عن ذكره وجده حفرةً من حفر النَّار.

-125-

الموت عشقًا (1)

مَـنْ مـاتَ عِشْقًا فَلْيَمُتْ هَكَذا   لا خَيْـرَ فِي عِشْقٍ بِلا مَوْتِ

[إ] حكـي عـن محمـد بن عبد الله البغدادي قال: رأيت بالبصرة شابًّا على سطحٍ مرتفعٍ وقد أشرف على النَّاس وهو يقول [البيت]، ثمَّ رمى بنفسه إلى الأرض فحملوه ميتًا.

فهـذا وأمـثاله قـد يصدَّق به في حبِّ المخلوق، والتَّصديق به في حبِّ الخالق أَولى؛ لأنَّ البـصيرة الباطـنة أصـدق مـن البـصر الظَّاهر، وجمال الحضرة الرَّبَّانيَّة أوفى من كلِّ جمـال، بـل كـلُّ جَمـالٍ في العـالم فهـو حسنةٌ من حسنات ذلك الجمال، نعَم، الَّذي فقد البـصر ينكـر جمـال الـصُّور، والَّـذي فقـد السَّمع يُنكر لذَّة الألحان والنَّغمات الموزونة، فالَّذي فقد القلب لا بدَّ وأن يُنكر أيضًا هذه اللَّذَّات الَّتي لا مظنَّة لها سوى القلب.

[ش] مَـنْ أحـبَّ الله فلا بدَّ أن يُميتَ نفسَه بمخالفة شهواتها، فإذا قدر على موت نفسه فقد صدق في محبَّته لله.

-126-

أعظم اللَّذات (2)

وَهَجْـرُهُ أَعْظَمُ مِنْ نارِهِ   وَوَصْـلُهُ أَطْيَبُ مِنْ جَنَّتِهْ

---

(1) الإحياء 5/ 249، من السريع.

(2) الإحياء 5/ 201، من السريع.

[إ] مَن عرفوا الله آثروا لذَّة القلب في معرفته على لذَّة الأكل والشرب والنكاح؛ فإنَّ الجنَّة معدن تمتُّع الحواس، فأمَّا القلب فلذَّته في لقاء الله فقط.

ومثال أطوار الخلق في لذَّتهم ما نذكره، وهو أنَّ الصَّبيَّ في أول حركته وتمييزه يظهر فيه غريزة بها يستلذُّ اللَّعب واللَّهو، حتَّى يكون ذلك عنده ألذَّ من سائر الأشياء.

ثمَّ يظهر بعده لذَّة الزِّينة ولبس الثِّياب وركوب الدَّوابِّ، فيستحقر معها لذَّة اللَّعب.

ثمَّ يظهر بعده لذَّة الوقاع وشهوة النِّساء، فيترك بها جميع ما قبلها في الوصول إليها.

ثمَّ تظهر لذَّة الرِّياسة والعُلُوِّ والتَّكاثر، وهى آخر لذَّات الدُّنيا وأعلاها وأقواها، كما قال تعالى: ﴿ ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ ﴾[1] الآية.

ثمَّ بعد هذا تظهر غريزةٌ أخرى يدرك بها لذَّة معرفة الله تعالى ومعرفة أفعاله، فيستحقر معها جميع ما قبلها، فكلُّ متأخرٍ فهو أقوى، وهذا هو الأخير؛ إذ يظهر حبُّ اللعب في سنِّ التَّمييز، وحبُّ النِّساء والزِّينة في سنِّ البلوغ، وحبُّ الرِّياسة بعد العشرين، وحبُّ العلوم بقرب الأربعين، وهي الغاية العليا، وكما أنَّ الصَّبيَّ يضحك على مَن يترك اللعب ويشتغل بملاعبة النِّساء وطلب الرِّياسة فكذلك الرُّؤساء يضحكون على مَن يترك الرِّياسة ويشتغل بمعرفة الله تعالى، والعارفون يقولون:﴿ إِن تَسْخَرُواْ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ . فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ... ﴾[2].

[ش] الَّذين يعبدون الله حبًّا تكون غايتهم لقاؤه والنَّظر إليه، وهي اللَّذَّة العظمى الَّتي تفوق الجنَّة.

---

(1) سورة الحديد، الآية 20.

(2) سورة هود، الآيتان 38، 39.

-127-

وجهك حجَّتنا [1]

إنَّ بَيْــتًا أَنْــتَ ســاكِنُهُ	غَيْـرُ مُحْتاجٍ إِلَى السُّرُجِ
وَجْهُـكَ الْمَأْمُـولُ حُجَّتُنا	يَوْمَ يَأْتِي النَّاسُ بِالحجَجِ
لا أَتـاحَ اللهُ لِـي فَـرَجًا	يَـوْمَ أَدْعُـو مِنْكَ بِالْفَرَجِ

[إ] حُكي أنَّ قومًا من أصحاب الشبلي دخلوا عليه وهو في الموت، فقالوا له: قل: لا إله إلا الله، فأنشأ يقول [الأبيات].

[ش] ينبغي أن يكون رجاء المؤمن وأمله في كرم الله ورحمته وفضله، لا في ما قدَّم من أعمال.

-128-

الصبر [2]

وَالـصَّبْرُ عَـنْكَ فَمَذْمُـومٌ عَواقِبُهُ	وَالصَّبْرُ في سائِرِ الأَشْياءِ محْمُودُ

[إ] حُكي عن بعض العارفين أنَّه سأل الشِّبلي عن الصَّبر، أيُّه أشدُّ؟ فقال: الصَّبر في الله تعالى، فقال: لا، فقال: الصَّبر لله، فقال: لا، فقال: الصَّبر مع الله، فقال: لا، فقال: فأيش؟ قال: الصَّبر عن الله، فصرخ الشِّبلي صرخةً كادت روحه تتلف.

[ش] كلُّ الصَّبر يهون على المحبِّ، إلا الصَّبر عن محبوبه فإنَّه شديدٌ لا يُحتمل، ولا تُحتمل نتائجه.

---

(1) الإحياء 6/ 118، من المديد، للشبلي.
(2) الإحياء 4/ 333، من البسيط.

-129-

ألم الفؤاد [1]

وَفِي فُـؤادِ الْمُحِبِّ نارُ جَوًى   أَحَـرُّ نـارِ الْجَحِـيمِ أَبْـرَدُها

[إ] قـال العارفـون: لـيس خوفنا من نار جهنَّم، ولا رجاؤنا للحور العين، وإنَّما مطلبنا اللِّقـاء، ومهـربنا مـن الحجـاب فقط، وقالوا: من يعبد الله بعوض فهو لئيم، كأنْ يعبده لطلب جنَّته أو لخوف ناره، بل العارف يعبده لذاته، فلا يطلب إلاَّ ذاته فقط، فأمَّا الحور العين والفواكه فقد لا يشتهيها، وأمَّا النَّار فقد لا يتَّقيها؛ إذ نار الفراق إذا استولت ربَّما غلبت النَّار المحرقة للأجسام؛ فإنَّ نار الفراق نار الله الموقدة الَّتي تطَّلع على الأفئدة، ونار جهنَّم لا شغل لها إلاَّ مع الأجسام، وألم الأجسام يُستحقر مع ألم الفؤاد.

[ش] أشدُّ ما يتَّقيه المحبون الحرمان من محبوبهم؛ فهذا الحرمان هو العذاب الذي لا مزيد عليه.

-130-

سجيَّة النفس [2]

فَلاَ تَحْسَبَنْ هِنْدًا لَها الغَدْرُ وَحْدَها   سَـجِيَّةَ نَفْـسٍ كُـلُّ غانِـيَةٍ هِـنْدُ

[إ] إنْ كمل العقل وقوي كان أوَّل شغله قمع جنود الشَّيطان، بكسر الشَّهوات، ومفارقة العـادات، وردِّ الطَّـبع علـى سـبيل القهـر إلى العبادات، ولا معنى للتَّوبة إلاَّ هذا، وهو الرُّجوع عن طريقٍ دليلُه الشَّهوة وخفيره الشَّيطان إلى طريق الله تعالى.

ولـيس في الوجـود آدمـيٌّ إلاَّ وشـهوته سـابقةٌ علـى عقله، وغريزته الَّتي هي عُدَّة الـشَّيطان مـتقدِّمة على غريزته الَّتي هي عُدَّة الملائكة، فكان الرُّجوع عما سبق إليه على

---

(1) الإحياء 4/ 263، من المنسرح.

(2) الإحياء 4/ 243، من الطويل، لأبي تمام في دلائل الإعجاز ص495.

مساعدة الشَّهوات ضروريًّا في حقِّ كل إنسان، نبيًّا كان أو غبيًّا، فلا تظنَّنَّ أنَّ هذه الضَّرورة اختصَّت بآدم عليه السَّلام، بل هو حكمٌ أزليٌّ مكتوبٌ على جنس الإنس، لا يمكن فرض خلافه ما لم تتبدَّل السُّنَّة الإلهيَّة الَّتي لا مطمع في تبديلها.

فإذن كلُّ مَن بلغ كافرًا جاهلاً فعليه التَّوبة من جهله وكفره، فإذا بلغ مسلمًا تبعًا لأبويه، غافلاً عن حقيقة إسلامه، فعليه التَّوبة من غفلته، بتفهُّم معنى الإسلام؛ فإنَّه لا يُغني عنه إسلام أبويه شيئًا ما لم يُسلِم بنفسه، فإن فهم ذلك فعليه الرُّجوع عن عادته وإلفه للاسترسال وراء الشَّهوات مِن غير صارف بالرُّجوع إلى قالب حدود الله فى المنع والإطلاق والانفكاك والاسترسال، وهو من أشقِّ أبواب التَّوبة، وفيه هلك الأكثرون؛ إذ عجزوا عنه، وكلُّ هذا رجوعٌ وتوبة، فدلَّ على أنَّ التَّوبة فرض عينٍ في حقِّ كلِّ شخص، لا يُتصوَّر أن يَستغني عنها أحدٌ من البشر، كما لم يستغن آدم، فخلقة الولد لا تتَّسع لِما لم تتَّسع له خلقة الوالد أصلاً.

[ش] سجيَّة النفوس واحدة من لدن خُلق آدم عليه السلام، فكلُّ إنسان لا يخلو عن المعصية، ولا يستغني عن التوبة.

-131-

جزاء العابدين [1]

نَظَرْتُ إِلَى رَبِّي كِفاحًا فَقالَ لَي	هَنِيئًا رِضائِي عَنْكَ يا ابْنَ سَعِيدِ
فَقَدْ كُنْتَ قَوَّامًا إِذا أَظْلَمَ الدُّجَى	بِعَبْرَةِ مُشْتاقٍ وَقَلْبِ عَمِيدِ
فَدُونَكَ فَاخْتَرْ أَيَّ قَصْرٍ أَرَدْتَهُ	وَزُرْنِي فَإِنِّي مِنْكَ غَيْرُ بَعِيدِ

[إ] عن ابن عيينة قال: رأيت سفيان الثَّوري في النوم كأنَّه في الجنَّة، يطير من شجرةٍ إلى شجرة، يقول: ﴿لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَٰمِلُونَ﴾[2]، فقلت له: أوصني، قال: أقلل من معرفة

(1) الإحياء 6/ 151، من الطويل، لسفيان الثَّوري رحمه الله، رئي في المنام يقوله.

(2) سورة الصافات، الآية 61.

الـنَّاس، وروى أبو حاتم الرَّازي، عن قبيصة بن عقبة قال: رأيت سفيان الثَّوري، فقلت: ما فعل الله بك؟ فقال: [الأبيات].

-132-

التائب [1]

نَحِـيلُ الْجِـسْمِ مُكْتَـئِبُ الفُـؤادِ	تَـــراهُ بِقِمَّـــةٍ أَوْ بَطْـــنِ وادِي
يَـنُوحُ عَلَـى مَعـاصٍ فاضِحاتٍ	يُكَـــدِّرْ ثِقْلُهـــا صَـــفْوَ الـــرُّقادِ
فَـإِنْ هاجَــتْ مَخاوِفُــهُ وَزادَتْ	فَدَعْــوَتُهُ أَغِثْنِــي يــا عِمــادِي
فَأَنْـــتَ بِمـــا أُلاقِـــيهِ عَلِـــيمٌ	كَـثِيرُ الـصَّفْحِ عَـنْ زَلَلِ العِبادِ

[إ] قـال بعـض الصَّالحين: بينما أنا أسير في مسيرٍ لي إذ ملت إلى شجرةٍ لأستريح تحتها، فـإذا أنـا بـشيخٍ قـد أشـرف عليَّ فقال لي: يا هذا، قم؛ فإنَّ الموت لم يمت، ثمَّ هام على وجهـه فاتَّبعـته، فـسمعته وهـو يقـول: كلُّ نفسٍ ذائقة الموت، اللهمَّ بارك لي في الموت، فقلـت: وفيما بعد الموت، فقال: مَن أيقَن بما بعد الموت شمَّر مئزر الحذر، ولم يكن له في الدُّنـيا مـستقرٌّ، ثـمَّ قـال: يا من لوجهه عنت الوجوه، بيِّض وجهي بالنَّظر إليك، واملأ قلـبي مـن المحبَّة لك، وأجرني من ذلِّ التَّوبيخ غدًا عندك، فقد آن لي الحياء منك، وحان لـي الرُّجوع عن الإعراض عنك، ثمَّ قال: لولا حلمك لم يسعني أجلي، ولولا عفوك لم ينبسط فيما عندك أملي، ثمَّ مضى وتركني.

-133-

حال العارف [2]

قَـرِيبُ الـوَجْدِ ذُو مَرْمًـى بَعِـيدِ	عَـنِ الأَحْـرارِ مِـنْهُمْ والعَبِـيدِ
غَـرِيبُ الوَصْفِ ذُو عِلْمٍ غَرِيبٍ	كَـــأَنَّ فُـــؤادَهُ زُبَـــرُ الْحَدِيـــدِ

(1) الإحياء 6/ 29، من الوافر.

(2) الإحياء 5/ 232، من الوافر.

لَقَــدْ عَــزَّتْ مَعانِــيهِ وَجَلَّــتْ   عَــنِ الأَبْــصارِ إِلاَّ لِلــشَّهِيدِ
يَرَى الأَعْيادَ فِي الأَوْقاتِ تُجْرِي   لَـهُ فِـي كُـلِّ يَـوْمٍ أَلْـفَ عِـيدِ
وَلِلأَحْـــبابِ أَفْـــراحٌ بِعِـــيدٍ   وَلاَ يَجِـدُ الـسُّرُورَ لَـهُ بِعِـيدِ

[إ] رُوي في بعـض الأخـبار أنَّ بعـض الصِّدِّيقين سأله بعض الأبدال أن يسأل الله تعالى أن يـرزقه ذرَّةً مـن معـرفته، ففعـل ذلـك، فهـام في الجبال وحار عقله ووله قلبه، وبقي شاخـصًا سبعة أيَّامٍ لا يَنتفع بشيءٍ ولا يُنتفع به شيء، فسأل له الصِّدِّيق ربَّه تعالى فقال: يا رب، أنقصه من الذَّرَّة بعضها، فأوحى الله تعالى إليه: إنَّما أعطيناه جزءًا من مائة ألف جزءٍ من ذرَّةٍ من المعرفة، وذلك أنَّ مائة ألف عبد سألوني شيئًا من المحبَّة في الوقت الَّذي سـألني هذا، فأخَّرت إجابتهم إلى أنْ شفعتَ أنت لهذا، فلمَّا أجبتك فيما سألت أعطيتهم كما أعطيته، فقسمت ذرَّةً من المعرفة بين مائة ألف عبد، فهذا ما أصابه من ذلك، فقال: سـبحانك يـا أحكم الحاكمين، أنقصه مِمَّا أعطيته، فأذهب الله عنه جملة الجزء وبقي معه عـشر معـشاره، وهـو جـزءٌ مـن عـشرة آلاف جزءٍ من مائة ألف جزءٍ من ذرَّة، فاعتدل خوفه وحبُّه ورجاؤه، وسكن وصار كسائر العارفين.

[ش] مَن عرف الله وأخلص له اختلف حاله عن حال النَّاس، ونال محاسن الدِّين ومكارم الأخلاق، وصار ما يفرحه هو الهبات الربَّانيَّة، لا ما يسعد النَّاس من مظاهر الدُّنيا.

-134-

عظة الموت (1)

أَتَــيْتُ القُــبُورَ فَنادَيْــتُها   فَــأَيْنَ الْمُعَظَّــمُ وَالْمُحْتَقَــرْ؟
وَأَيْــنَ الْمُــدِلُّ بِــسُلْطانِهِ؟   وَأَيْـنَ الْمُزَكَّى إِذا ما افْتَخَرْ؟

❋

تَفانَـوْا جَمِـيعًا فَمـا مُخْبِـرٌ   وَماتُـوا جَمِـيعًا وَماتَ الْخَبَرْ

---

(1) الإحياء 6/ 123، من المتقارب، الأولان لمالك بن دينار، وباقي القطعة ردٌّ عليه سمعه.

تَـرُوحُ وَتَغْـدُو بَـناتُ الثَّرَى   فَتَمْحُو مَحاسِنَ تِلْكَ الصُّوَرْ
فَـيا سائِلِي عَنْ أُناسٍ مَضَوْا   أَمـا لَـكَ فِـيما تَـرَى مُعْتَبَرْ؟

[إ] قـال مالك بن دينار: مررت بالمقبرة فأنشأت أقول: [البيتين]، قال: فنوديت من بينها أسمع صوتا ولا أرى شخصا وهو يقول: [الأبيات]، قال: فرجعت وأنا باكٍ.

[ش] كـلُّ الـنَّاس إلى القـبور لا محالـة، العظيم والحقير، والغنيُّ والفقير، وأحوال القبور تمحـو محاسـن صـور الـنَّاس، فلا يبقى سوى عملهم الصَّالح، وهذه من أعظم العظات وأنفعها.

-135-

عظمة الخالق [1]

لَقَـدْ ظَهَـرْتَ فَمـا تَخْفَـى عَلَى أَحَدٍ   إلاَّ عَلَـى أَكْمَـهٍ لا يَعْـرِفُ القَمَـرا
لَكِـنْ بَطَـنْتَ بِمـا أَظْهَـرْتَ مُحْتَجِبًا   فَكَيْفَ يُعْرَفُ مَنْ بِالعُرْفِ قَدْ سُتِرا

[إ] المـدرَكات كلـها الـتي هي شاهدة على الله إنَّما يدركها الإنسان في الصبا عند فقد العقـل، ثـمَّ تـبدو فيه غريزة العقل قليلاً قليلاً وهو مستغرق الهمِّ بشهواته، وقد أنس بمدركاته ومحسوساته وألفها، فسقط وقعها من قلبه بطول الأُنس.

ولـذلك إذا رأى ـ علـى سـبيل الفجـأة ـ حيوانًا غريبًا أو نباتًا غريبًا أو فعلاً من أفعـال الله تعـالى خارقًـا للعـادة عجيبًا، انطلق لسانه بالمعرفة طبعًا فقال: سبحان الله، وهـو يرى طول النَّهار نفسه وأعضاءه وسائر الحيوانات المألوفة، وكلُّها شواهد قاطعة لا يحسُّ بشهادتها لطول الأنس بها.

(1) الإحياء 5/ 215، من البسيط.

ولـو فُـرض أكمـهٌ بلـغ عـاقلاً، ثـم انقشعت غشاوة عينه فامتدَّ بصره إلى السماء، والأرض، والأشـجار، والنبات، والحيوان دفعةً واحدةً على سبيل الفجأة، لخيف على عقله أن ينبهر لعظم تعجُّبه من شهادة هذه العجائب لخالقها.

[ش] قـدرة الله وعظمـته لا يخفـيان، لكـن الغفلـة قـد تحجب الأبصار عن رؤية دلائل الخالق في مخلوقاته.

-136-

عند الموت [1]

لَعَمْـرُكَ مـا يُغْنِـي الثَّـراءُ عَنِ الفَتَى   إِذا حَشْرَجَتْ يَوْمًا وضاقَ بِها الصَّدْرُ

[إ] لَمَّـا احتـضر أبـو بكـر رضـي الله عنه، جاءت عائشة رضي الله عنها، فتمثَّلت بهذا البيت، فكشف عن وجهه وقال: ليس كذا، ولكن قولي: ﴿ وَجَآءَتۡ سَكۡرَةُ ٱلۡمَوۡتِ بِٱلۡحَقِّۖ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنۡهُ تَحِيدُ ﴾[2]، انظـروا ثوبـيَّ هـذين، فاغـسلوهما وكفنونـي فيهما؛ فإنَّ الحيَّ إلى الجديد أحوج من الميت.

[ش] دأب الكـرام إنفـاق المـال والجود به، يرون أنَّ الثَّراء لا يغني عن المرء حين يأتيه الموت.

-137-

الغرور بالسلامة [3]

أَحْـسَنْتَ ظَـنَّكَ بِالأَيَّام إِذْ حَسُنَتْ   وَلَـمْ تَخَفْ سُوءَ ما يَأْتِي بِهِ القَدَرُ

---

(1) الإحياء 6/ 109، من الطويل، لحاتم الطَّائي في ديوانه ص42، بلفظ (أماوي) مكان (العمرك).
(2) سورة ق، الآية 19.
(3) الإحياء 5/ 29، من البسيط، للإمام الشَّافعي رضي الله عنه في ديوانه ص47.

وَسـالَمَتْكَ اللَّيالِـي فاغْتَـرَرْتَ بِها وَعِـنْدَ صَفْوِ اللَّيالِي يَحْدُثُ الكَدَرُ

[إ] الطِّباع بحبِّ الدُّنيا مشغوفة، وعليها مقبلة، وشهوات الدُّنيا بمخنقها آخذة، وعن تمام الفكـر صـارفة، فـإذا فُـتح باب الكلام في الله وفي صفاته بالرَّأي والمعقول ـ مع تفاوت الـنَّاس في قـرائحهم، واخـتلافهم في طبائعهم، وحرص كلِّ جاهلٍ منهم على أن يدَّعي الكمال أو الإحاطة بكنه الحق ـ انطلقت ألسنتهم بما يقع لكلِّ واحدٍ منهم، وتعلَّق ذلك بقلـوب المـصغين إلـيهم، وتأكَّد ذلك بطول الإلف فيهم، فانسدَّ بالكلِّيَّة طريق الخلاص علـيهم، فكانـت سـلامة الخلـق في أن يشتغلوا بالأعمال الصَّالحة، ولا يتعرَّضوا لِما هو خارجٌ عن حدِّ طاقتهم.

ولكن الآن قد استرخى العنان، وفشا الهذيان، ونزل كل جاهلٍ على ما وافق طبعه بظـنٍّ وحسبان، وهو يعتقد أنَّ ذلك علمٌ واستيقان، وأنَّه صفو الإيمان، ويظنُّ أنَّ ما وقع به من حدسٍ وتخمينٍ علم اليقين وعين اليقين، ولتعلمنَّ نبأه بعد حين.

واعلـم يقيـنًا أنَّ كـلَّ مَـن فـارق الإيمـان الـسَّاذج بالله ورسوله وكتبه، وخاض في الـبحث، فقـد تعـرَّض لهـذا الخطـر، ومـثاله مـثال مـن انكسرت سفينته وهو في ملتطم الأمـواج، يـرميه مـوجٌ إلى موج، فربَّما يتَّفق أن يلقيَه إلى السَّاحل، وذلك بعيد، والهلاك عليه أغلب.

وكـلُّ نـازلٍ علـى عقـيدةٍ تلقَّفهـا من الباحثين ببضاعة عقولهم ـ إمَّا مع الأدلَّة الَّتي حـرَّروها في تعـصُّباتهم أو دون الأدلَّـة ـ فـإن كان شاكًّا فيه فهو فاسد الدِّين، وإن كان واثقًـا فهو آمنٌ مِن مكر الله، مغترٌّ بعقله النَّاقص، وكلُّ خائضٍ في البحث فلا ينفكُّ عن هـاتين الحالـتين، إلاَّ إذا جـاوز حـدود المعقول إلى نور المكاشفة الَّذي هو مشرقٌ في عالم الـولاية والنُّـبوَّة، وذلـك هـو الكبريت الأحمر، وأنى يتيسَّر، وإنَّما يسلم عن هذا الخطر الـبُلْه من العوامِّ، أو الَّذين شغلهم خوف النَّار بطاعة الله فلم يخوضوا في هذا الفضول، فهذا أحد الأسباب المخطرة في سوء الخاتمة.

-138-

عند الخاتمة [1]

سَـوْفَ تَـرَى إذا انْجَلَى الغُبارُ
أَفَــرَسٌ تَحْــتَكَ أَمْ حِمــارُ

[إ] كـلُّ إيمـانٍ لم يثـبت في الـيقين أصـله، ولم تنتـشر فـى الأعمال فروعه، لم يثبت على عواصف الأهوال عند ظهور ناصية ملك الموت، وخيف عليه سوء الخاتمة، لا ما يُسقى بالطَّاعات على توالي الأيَّام والسَّاعات، حتَّى رسخ وثبت، وقول العاصي للمطيع: إنِّي مـؤمن كمـا أنَّـك مؤمن، كقول شجرة القرع لشجرة الصَّنوبر: أنا شجرة وأنت شجرة، ومـا أحـسن جـواب شـجرة الـصَّنوبر؛ إذ قالـت: ستعرفين اغترارك بشمول الاسم إذا عـصفت ريـاح الخريف، فعند ذلك تنقطع أصولك، وتتناثر أوراقك، وينكشف غرورك بالمشاركة في اسم الشَّجرة مع الغفلة عن أسباب ثبوت الأشجار.

[ش] عـند الخاتمـة تظهـر سـيرتك وأعمالـك وهـل كـنت علـى الحـق أم على الباطل، فالأعمال بالخواتيم.

-139-

قلوب العارفين [2]

حَـنِينُ قُلُـوبِ العـارِفِينَ إِلَـى الذِّكْـرِ ... وَتَــذْكارُهُمْ وَقْــتَ الْمُــناجاةِ لِلــسِّرِّ
أُدِيــرَتْ كُــؤُوسٌ لِلْمَــنايا عَلَــيْهِمُ ... فَأَغْفَـوْا عَـنِ الدُّنْـيا كَإِغْفـاءِ ذِي السُّكْرِ
هُمُــــومُهُمُ جَــــوَّالَةٌ بِمُعَــــسْكَرٍ ... بِــهِ أَهْــلُ ودِّ اللهِ كَــالأَنْجُمِ الزُّهْــرِ
فَأَجْـسامُهُمْ فِـي الأَرْضِ قَتْلَـى بِحُـبِّهِ ... وَأَرْواحُهُمْ فِي الحُجْبِ نَحْوَ العُلا تَسْرِي

(1) الإحياء 4/ 241، من الرجز، وهو معدود في أمثال العرب، مجمع الأمثال 1/ 344.
(2) الإحياء 6/ 116، من الطويل، لأبي سعيد الخراز.

فَمـــا عَرَّسُــوا إِلاَّ بِقُـــرْبِ حَبِيـــبِهِمْ وَمـا عَـرَّجُوا مِـنْ مَـسِّ بُـؤْسٍ وَلا ضُرِّ

[إ] قـال رويم: حضرتُ وفاة أبي سعيد الخرَّاز وهو يقول [الأبيات]، وقيل للجنيد: إنَّ أبا سعيد الخرَّاز كان كثير التَّواجد عند الموت، فقال: لم يكن يعجب أن تطير روحه اشتياقًا.

[ش] العارفـون بـالله غافلـون عن الدنيا، لا يهتمُّون إلاَّ برضا الله، فأجسامهم كالموتى، وأرواحهـم سيَّارة في الملكوت الأعلى، لا تنزل إلاَّ بقرب حبيبهم، ولا يتركون طريقهم لضرٍّ أصابهم أو بلاء.

-140-

قرب الحبيب (1)

وَقالُـوا قَـرِيبٌ قُلْـتُ مـا أَنـا صـانِعٌ بِقُرْبِ شُعاعِ الشَّمْسِ لَوْ كانَ في حِجْرِي
فَمـا لِـيَ مِــنْهُ غَيْــرُ ذِكْــرٍ بِخاطِــرٍ يُهَـيِّجُ نـارَ الْحُـبِّ وَالـشَّوْقِ في صَدْرِي

[إ] قـد يكـون للمحـبِّ سَـكرةٌ في حـبِّه حتَّى يُدهَش فيه وتضطرب أحواله فيظهر عليه حـبُّه، فـإن وقع ذلك عن غير تمحُّل أو اكتساب فهو معذور؛ لأنَّه مقهور، وربَّما تشتعل من الحبِّ نيرانه فلا يُطاق سلطانه، وقد يفيض القلب به فلا يندفع فيضانه.

[ش] إذا كـان المحبوب قريبًا زاد وجد المحبِّ؛ لما يجد من الشَّوق واللهفة للقائه، واستيلاء ذكره على خاطره وفكره.

-141-

أجر عُبيدك (2)

أَنـا حامِـدٌ أَنـا شـاكِرٌ أَنـا ذاكِـرٌ أَنـا جائِـعٌ أَنـا ضائِعٌ أَنا عارِي

---

(1) الإحياء 5/ 232، من الطويل.
(2) الإحياء 5/ 149، من الكامل، لإبراهيم بن أدهم رحمه الله.

هِـيَ سِـتَّةٌ وَأَنا الضَّمِينُ لِنِصْفِها   فَكُـنِ الضَّمِينَ لِنِصْفِها يا بارِي
مَدْحِـي لِغَيْرِكَ لَهْبُ نارٍ خُضْتُها   فَأَجِـرْ عُبَـيْدَكَ مِنْ دُخُولِ النَّارِ

[إ] روي عـن حذيفـة المرعشي ـ وقد كان خدم إبراهيم بن أدهم ـ فقيل له: ما أعجب ما رأيـت مـنه؟ فقـال: بقيـنا فـى طـريق مكَّـة أيَّامًا لم نجد طعامًا، ثمَّ دخلنا الكوفة فأوينا إلى مـسجدٍ خـراب، فنظـر إلـيَّ إبراهيم وقال: يا حذيفة، أرى بك الجوع، فقلت: هو ما رأى الشَّيخ، فقال: عليَّ بدواةٍ وقرطاس، فجئت به إليه، فكتب: بسم الله الرحمن الرحيم، أنت المقـصود إلـيه بكـلِّ حال، والمشار إليه بكل معنى، وكتب شِعرًا: أنا حامدٌ ... [الأبيات]، ثـمَّ دفع إليَّ الرُّقعة فقال: اخرج ولا تعلِّق قلبك بغير الله تعالى، وادفع الرُّقعة إلى أوَّل مَن يلقـاك، فخرجت فأوَّل من لقيني كان رجلاً على بغلة، فناولته الرقعة فأخذها، فلما وقف علـيها بكـى وقال: ما فعل صاحب هذه الرُّقعة، فقلت: هو في المسجد الفلانى، فدفع إليَّ صُرَّة فيها ستُّمائة دينار، ثمَّ لقيت رجلاً آخر، فسألته عن راكب البغلة فقال: هذا نصراني، فجـئت إلى إبـراهيم وأخـبرته بالقـصَّة فقـال: لا تَمسَّها فإنه يَجيء السَّاعة، فلمَّا كان بعد ساعة دخل النَّصراني وأكبَّ على رأس إبراهيم يقبِّله، وأسلم.

[ش] مَن توكَّل على الله كفاه، ومَن تعلَّق قلبه بالله لم يحوجه إلى غيره.

-142-

إخفاء الحب [1]

يُخْفِـي فَيُـبْدِي الدَّمْـعُ أَسْـرارَهُ   وَيُظْهِـرُ الـوَجْدَ عَلَـيْهِ الـنَّفَسْ

[إ] قـال بعـض العـارفين: أكثر النَّاس من الله بُعدًا أكثرهم إشارةً به، كأنَّه أراد مَن يُكثر التَّعـريض به في كلِّ شيءٍ ويُظهر التَّصنُّع بذكره عند كلِّ أحد، فهو ممقوتٌ عند الْمُحبِّين والعلماء بالله عزَّ وجلَّ.

---

(1) الإحياء 5/ 233، من السريع.

[ش] الأولـياء يحـبُّون الخفاء في حبِّ الله وعدم إظهاره لكلِّ أحد؛ خشية الرِّياء الذي لا يصحُّ معه عمل.

-143-

لا يرحم الموت (1)

إنَّ الْحَبِـيبَ مِـنَ الأَحْـبابِ مُخْـتَلَسُ	لا يَمْـنَعُ الْمَوْتَ بَوَّابٌ ولا حَرَسُ
فَكَـــيْفَ تَفْـــرَحُ بِالدُّنْـــيا وَلَـــذَّتِها	يـا مَـنْ يُعَـدُّ عَلَـيْهِ اللَّفْظُ وَالنَّفَسُ
أَصْـبَحْتَ يـا غافِلاً فِي النَّقْصِ مُنْغَمِسًا	وَأَنْـتَ دَهْـرَكَ فِي اللَّـذَّاتِ مُنْغَمِسُ
لا يَـرْحَمُ الْمَــوْتُ ذا جَهْــلٍ لِغِــرَّتِهِ	وَلا الَّـذِي كـانَ مِـنْهُ العِلْمُ يُقْتَبَسُ
كَـمْ أَخْـرَسَ الْمَـوْتُ فِي قَبْرٍ وَقَفْتُ بِهِ	عَـنِ الْجَـوابِ لِـسانًا ما بِهِ خَرَسُ
قَـدْ كـانَ قَـصْرُكَ مَعْمُـورًا لَـهُ شَـرَفٌ	فَقَبْرُكَ الْيَوْمَ فِي الأَجْداثِ مُنْدَرِسُ

[إ] هـذه أبـياتٌ كُتبتْ على قبورٍ؛ لتقصير سكَّانها عن الاعتبار قبل الموت، والبصير هو الَّـذي ينظـر إلى غـيره فـيرى مكانـه بـين أظهرهم، فيستعدُّ للُّحوق بهم، ويعلم أنَّهم لا يـبرحون مـن مكانهم ما لم يلحق بهم، وليتحقَّق أنَّه لو عُرض عليهم يومٌ من أيَّام عمره الَّـذي هـو مـضيعٌ لـه لكـان ذلـك أحـبَّ إليهم من الدُّنيا بحذافيرها؛ لأنَّهم عرفوا قدر الأعمار، وانكشفت لهم حقائق الأمور.

فإنَّمـا حـسرتهم علـى يـومٍ مـن العمـر ليـتدارك المقـصِّر به تقصيره فيتخلَّص من العقـاب، وليـستزيد الموفَّـق بـه رتبته فيتضاعف له الثَّواب؛ فإنَّهم إنَّما عرفوا قدر العمر بعـد انقطاعـه، فحـسرتهم على ساعةٍ من الحياة، وأنت قادرٌ على تلك السَّاعة، ولعلَّك تقدر على أمثالها ثمَّ أنت مضيِّعٌ لها.

---

(1) الإحياء 6/ 124، من البسيط.

فوطِّن نفسك على التَّحسُّر على تضييعها عند خروج الأمر من الاختيار إذا لم تأخذ نصيبك من ساعتك على سبيل الابتدار؛ فقد قال بعض الصَّالحين: رأيت أخًا لي في الله فيما يرى النائم فقلت: يا فلان، عشت؟ الحمد لله ربِّ العالمين، قال: لأن أقدر على أن أقولها ـ يعني الحمد لله ربِّ العالمين ـ أحبُّ إليَّ من الدُّنيا وما فيها، ثمَّ قال: ألم تر حيث كانوا يدفنونني؟ فإنَّ فلانًا قد قام فصلَّى ركعتين، لأن أكون أقدر على أن أصلِّيهما أحبُّ إليَّ من الدُّنيا وما فيها.

-144-

خلاصة الحب [1]

وَأَتْرُكُ ما أَهْوَى لِما قَدْ هَوِيتَهُ   فَأَرْضَى بِما تَرْضَى وَإِنْ سَخِطَتْ نَفْسِي

[إ] قال سهل رحمه الله تعالى: خلاصة الحبِّ إيثاره على نفسك؛ وليس كلُّ مَن عمل بطاعة الله عزَّ وجلَّ صار حبيبًا، وإنَّما الحبيب مَن اجتنب المناهي.

[ش] علامةُ حبِّ الله الكفُّ عن هوى النفس وشهوتها، فهو دليل إيثار رضا الله على ما سواه.

-145-

التمنّي بلا عمل [2]

تَرْجُو النَّجاةَ وَلَمْ تَسْلُكْ مَسالِكَها   إِنَّ السَّفِينَةَ لا تَجْرِي عَلَى اليَبَسِ

[إ] مَن ينهمك فيما يكرهه الله تعالى ولا يذمُّ نفسه عليه ولا يعزم على التَّوبة والرُّجوع، فرجاؤه المغفرة حمق، كرجاء مَن بثَّ البذر في أرضٍ سبخة وعزم على أن لا يتعهَّده بسقيٍ ولا تنقية.

(1) الإحياء 5/ 226، من الطويل.
(2) الإحياء 4/ 413، من البسيط، للإمام الشافعي في ديوانه ص53.

قـال يحيى بن معاذ: مِن أعظم الاغترار عندي التَّمادي في الذُّنوب مع رجاء العفو مـن غـير ندامـة، وتوقُّـع القرب من الله تعالى بغير طاعة، وانتظار زرع الجنَّة ببذر النَّار، وطلب دار المطيعين بالمعاصي، وانتظار الجزاء بغير عمل، والتَّمنِّي على الله عز وجل مع الإفراط.

[ش] الـرَّجاء مـن العبادة، لكنَّه يجب أن يكون مقرونًا بالعمل، فالرَّجاء بلا عمل يدخل في الاغترار بالله.

-146-

أسباب العز والغنى [1]

اِضْــرَعْ إِلى اللهِ لا تَــضْرَعْ إِلى الــنَّاسِ   وَاقْـنَعْ بِـيأْسٍ فَـإِنَّ العِـزَّ في الـياسِ

وَاسْـتَغْنِ عَـنْ كُلِّ ذي قُرْبَى وَذِي رَحِمٍ   إِنَّ الغَنِـيَّ مَـنِ اسْـتَغْنَى عَـنِ النَّاسِ

[إ] قـال عمـر رضي الله تعالى عنه: إنَّ الطَّمع فقر، واليأس غنى، وإنَّه من يئس عمَّا فى أيدي النَّاس وقنع استغنى عنهم.

وقـال أبـو مـسعود رضـي الله تعـالى عـنه: مـا من يومٍ إلاَّ وملكٌ ينادي من تحت العـرش: يـا ابـن آدم، قلـيلٌ يكفـيك خيرٌ مِن كثيرٍ يُطغيك، وقال أبو الدَّرداء رضي الله تعـالى عـنه: مـا مِن أحدٍ إلاَّ وفي عقله نقص؛ وذلك أنَّه إذا أتته الدُّنيا بالزِّيادة ظلَّ فرحًا مـسرورًا، واللَّـيل والنَّهار دائبان فى هدم عمره ثمَّ لا يحزنه ذلك، ويح ابن آدم، ما ينفع مالٌ يزيد وعمرٌ ينقص؟

وقيل لبعض الحكماء: ما الغِنى؟ قال: قلَّة تَمنِّيك، ورضاك بما يكفيك.

---

(1) الإحياء 5/ 60، من البسيط، والثَّاني وحده في البيان والتبيين 2/ 194 لأحيحة بن الجلاح.

[ش] أصل العِزِّ والغنى: الطَّمع فيما عند الله والرَّغبة إليه، والزُّهد فيما بأيدي النَّاس والاستغناء عنهم.

-147-

عزاء [1]

اِصْبِرْ نَكُنْ بِكَ صابِرِينَ فَإِنَّما ... صَبْرُ الرَّعِيَّةِ بَعْدَ صَبْرِ الرَّاسِ
خَيْرٌ مِنَ العَبَّاسِ أَجْرُكَ بَعْدَهُ ... وَاللهُ خَيْرٌ مِنْكَ لِلْعَبَّاسِ

[إ] الشُّكر يتبع معرفة النِّعمة بالضرورة، ومَن لا يؤمن بأنَّ ثواب المصيبة أكبر من المصيبة لم يُتصوَّر منه الشُّكر على المصيبة.

وحُكي أنَّ أعرابيًّا عزَّى ابن عبَّاس على أبيه فقال: [البيتين]، فقال ابن عبَّاس: ما عزَّاني أحدٌ أحسن من تعزيته.

[ش] مَن عقل وقوي إيمانه لم يجزع لمصيبة الموت، وعرف أنَّ الأجر على الصَّبر خيرٌ من المتوفَّى، والله خيرٌ للمتوفَّى من أهله.

-148-

هلك الطبيب [2]

قَدْ قُلْتُ لَمَّا قالَ لِي قائِلٌ ... قَدْ صارَ لُقْمانُ إِلَى رَمْسِهِ
فَأَيْنَ ما يُوصَفُ مِنْ طِبِّهِ ... وَحِذْقِهِ فِي الْماءِ مَعْ جَسِّهِ؟
هَيْهاتَ لا يَدْفَعُ عَنْ غَيْرِهِ ... مَنْ كانَ لا يَدْفَعُ عَنْ نَفْسِهِ

[إ] وُجد مكتوبًا على قبر طبيب.

(1) الإحياء 4/ 397، من الكامل، لأعرابي يعزِّي ابن عباس رضي الله عنه.
(2) الإحياء 6/ 124، من السريع.

[ش] الطِّـبُّ لا يملـك دفع الموت، ولو كان يملك دفعه لكان الطَّبيب أولى النَّاس بالبقاء وعدم الموت.

-149-

طاعة المحبوب [1]

تَعْـصِي الإلَـهَ وَأَنْـتَ تُظْهِرُ حُبَّهُ   هَـذا لَعَمْـرِي فِـي الفِعالِ بَدِيعُ
لَـوْ كـانَ حُـبُّكَ صـادِقًا لأَطَعْتَهُ   إِنَّ الْمُحِـبَّ لِمَـنْ يُحِبُّ مُطِيعُ

[إ] الحـبُّ اذا غلـب قمـع الهوى فلم يبق له تنعُّمٌ بغير المحبوب، كما رُوي أنَّ زُليخا لَمَّا آمـنت وتـزوَّج بهـا يوسـف عليه السَّلام انفردت عنه وتخلَّت للعبادة، وانقطعت الى الله تعـالى، فكـان يدعـوها إلى فراشـه نهارًا فتُدافعه إلى اللَّيل، فإذا دعاها ليلاً سوَّفت به إلى النَّهار وقالت: يا يوسف، إنَّما كنت أحبُّك قبل أن أعرفه، فأما إذا عرفتُه فما أبقت محبَّته محبَّةً لسواه، وما أريد به بدلاً، حتَّى قال لها: إنَّ الله ـ جلَّ ذِكره ـ أمرني بذلك، وأخبرني أنَّـه مُخـرجٌ مـنكِ ولـدين وجاعلـهما نبـيَّين، فقالت: أمَّا إذا كان الله تعالى أمرك بذلك وجعلـني طـريقا إلـيه فطاعـةٌ لأمر الله تعالى، فعندها سكنتْ إليه، فإذن مَن أحبَّ الله لا يعصيه.

[ش] ادِّعاء الحبِّ ينكشف بمعصية المحبوب؛ إذ الصِّدق في حبِّه يمنع من عصيانه.

-150-

أغنيتني بالفضل [2]

نَهانِـي حَيائِي مِنْكَ أَنْ أَكْشِفَ الْهَوَى   وَأَغْنَيْتَنِي بِالْفَضْلِ مِنْكَ عَنِ الْكَشْفِ
تَلَطَّفْـتُ في أَمْـرِي فَأَبْـدَيْتُ شاهِدِي   إِلَـى غائِبِي وَاللُّطْفُ يُدْرَكُ بِاللُّطْفِ

(1) الإحياء 5/ 226، من الكامل، وعزاه لابن المبارك، وهو في ديوان النابغة الذبياني ص117.
(2) الإحياء 5/ 150، من الطويل، لأبي حمزة الخراساني.

تَـراءَيْتَ لِـي بِالْغَـيْبِ حَتَّـى كَأَنَّمـا تُبَـشِّرُنِي بِالْغَـيْبِ أَنَّـكَ فِـي الكَـفِّ
أَراكَ وَبِـي مِـنْ هَيْبَتِـي لَـكَ وَحْـشَةٌ فَتُؤْنِـسُنِي بِاللُّطْـفِ مِـنْكَ وَبِالْعَطْفِ
وَتُحْيِـي مُحِـبًّا أَنْـتَ فِي الحُـبِّ حَتْفُهُ وَذا عَجَـبٌ كَوْنُ الْحَياةِ مَعَ الْحَتْفِ

[إ] قـال أبـو حمـزة الخراساني: حججت سنةً من السِّنين، فبينا أنا أمشي في الطَّريق إذ وقعت في بئر، فنازعتني نفسى أن أستغيث، فقلت: لا والله لا أستغيث، فما استتممت هـذا الخاطر حتَّى مرَّ برأس البئر رجلان، فقال أحدهما للآخر: تعالَ حتَّى نسدَّ رأس هـذا البئـر؛ لـئلاَّ يقـع فـيه أحـد، فأتوا بقصب وبارية وطمُّوا رأس البئر، فهممت أن أصـيح، فقلـت في نفـسي: إلى مَـن أصـيح؟ هـو أقرب منهما، وسكنت، فبينا أنا بعد سـاعة، إذا أنـا بشيءٍ جاء وكشف عن رأس البئر، وأدلى رجله وكأنَّه يقول: تعلَّق بي، في همهمـةٍ له كنت أعرف ذلك، فتعلَّقت به فأخرجني، فإذا هو سبع، فمرَّ، وهتف بي هاتـفٌ: يا أبا حمزة، أليس هذا أحسن؟ نَجَّيناك من التَّلف بالتَّلف، فمشيت وأنا أقول [الأبيات].

[ش] صـدق الـتَّوكُّل علـى الله والرغبة إليه تُغني عَمَّا سواه، وإذا أحبَّ الله عبدًا أجرى اللطف الخفيَّ في أمره حتَّى يؤنسه ويكفيه كلَّ ما أهمَّه.

-151-

وراء القبر (1)

أَخـافُ وَراءَ الْقَبْـرِ إِنْ لَـمْ تُعافِنِي أَشَـدَّ مِـنَ القَبْـرِ الْـتِهابًا وَأَضْيَقا
إِذا جاءَنـــي يَـــوْمَ القِـــيامَةِ قائِـــدٌ عَنِـيفٌ وَسـوَّاقٌ يَسُوقُ الفَرَزْدَقا
لَقَدْ خابَ مِنْ أَوْلادِ آدَمَ مَنْ مَشَى إِلَـى الـنَّارِ مَغْلُولَ القِلادَةِ أَزْرَقا

[إ] قـال أبـو موسـى التَّميمـي: توفِّيت امرأة الفرزدق، فخرج في جنازتها وجوه البصرة

(1) الإحياء 6/ 122، من الطويل، للفرزدق.

وفيهم الحسن، فقال له الحسن: يا أبا فراس، ماذا أعددت لهذا اليوم؟ فقال: شهادة أن لا إله إلاَّ الله منذ ستِّين سنة، فلما دُفِنتْ أقام الفرزدق على قبرها فقال [الأبيات].

[ش] وراء القبر ما هو أشدُّ منه وأضيق، فمن كان من أهل النَّار سيق إليها مغلولاً، ولن ينجو إلا مَن آمن وعمل لهذا الموقف.

-152-

القلب محترق (1)

القَلْـبُ مُحْتَـرِقٌ وَالدَّمْـعُ مُـسْتَبِقُ	وَالكَرْبُ مُجْتَمِعٌ والصَّبْرُ مُفْتَرِقُ
كَـيْفَ القَـرارُ عَلَى مَنْ لا قَرارَ لَهُ	مِمَّا جَناهُ الْهَوَى وَالشَّوْقُ وَالقَلَقُ
يـا رَبِّ إِنْ يَـكُ شَيْءٌ فِيهِ لِي فَرَجٌ	فَامْـنُنْ عَلَـيَّ بِـهِ ما دامَ بِي رَمَقُ

[إ] دخل الجنيد على سري السقطي في مرض موته، فأخذ المروحة ليروِّحه، فقال: كيف يجد ريح المروحة مَن جوفه يحترق؟ ثمَّ أنشأ يقول [الأبيات].

[ش] لساعة الموت شدَّة على المحتضِر من شدَّة الكرب، يهوِّنها الله على المؤمنين.

-153-

الحرص والطمع (2)

يـا جامِعًـا مانِعًـا والدَّهْـرُ يَـرْمُقُهُ	مُقَـدِّرًا أَيُّ بـابٍ مِـنْهُ يُغْلِقُـهُ
مُفَكِّـرًا كَـيْفَ تَأْتِـيهِ مَنِيَّـتُهُ	أَغادِيًـا أَمْ بِهـا يَـسْرِي فَتَطْـرُقُهُ
جَمَعْتَ مالاً فَقُلْ لي هَلْ جَمَعْتَ لَهُ	يـا جامِـعَ الْمـالِ أَيَّامًـا تُفَـرِّقُهُ؟

(1) الإحياء 6/ 117، من البسيط، لسري السقطي.

(2) الإحياء 5/ 60، من البسيط، والثلاثة الأخيرة وحدها تكررت في الإحياء 4/ 15، ونُسِبت الأبيات من الثالث إلى السادس لمحمد بن عبد الرحمن العطوي في الأغاني 23/ 134، وورد في يتيمة الدهر 2/ 60 الثالث والرابع والسابع لأبي بطال.

الْمــالُ عِــنْدَكَ مَخْــزُونٌ لِــوارِثِهِ | مـا الْمـالُ مالُـكَ إلاَّ يَـوْمَ تُـنْفِقُهُ
أَرْفِـهْ بِـبالِ فَتًـى يَغْـدُو عَلَـى ثِقَـةٍ | أَنَّ الَّــذِي قَــسَّمَ الأَرْزاقَ يَــرْزُقُهُ
فالْعِـرْضُ مِـنْهُ مَـصُونٌ مـا يُدَنِّـسُهُ | وَالْـوَجْهُ مِـنْهُ جَدِيـدٌ لَـيْسَ يُخْلِقُهُ
إِنَّ القَـناعَةَ مَــنْ يَحْلِـلْ بِـساحَتِها | لَـمْ يَلْـقَ فِي ظِلِّهـا هَـمٌّ يُـؤَرِّقُهُ

[إ] يُـروى أنَّ الله عزَّ وجلَّ قال: يا ابن آدم، لو كانت الدُّنيا كلُّها لك لم يكن لك منها إلاَّ القـوت، وإذا أنـا أعطيـتك مـنها القـوت وجعلـت حـسابها على غيرك فأنا إليك محسن.

وقـال ابـن مسعود: إذا طلب أحدكم الحاجة فليطلبها طلبًا يسيرًا ولا يأتي الرَّجلَ فيقول: إنَّك وإنَّك، فيقطع ظهره؛ فإنَّما يأتيه ما قُسم له من الرِّزق أو ما رُزق.

وكـتب بعـض بـني أميَّة إلى أبي حازم يعزم عليه إلاَّ رفع إليه حوائجه، فكتب إليه: قد رفعت حوائجي إلى مولاي، فما أعطاني منها قبلت، وما أمسك عني قنعت.

وقـيل لبعض الحكماء: أيُّ شيءٍ أسرُّ للعاقل؟ وأيُّما شيءٍ أعون على دفع الحزن؟ فقـال: أسـرُّها إليه ما قدَّم من صالح العمل، وأعونها له على دفع الحزن الرِّضا بمحتوم القضاء.

وقـال بعـض الحكماء: وجدت أطول النَّاس غمًّا الْحَسود، وأهنأهم عيشًا القَنوع، وأصـبرهم علـى الأذى الحريص إذا طمع، وأخفضهم عيشًا أرفضهم للدُّنيا، وأعظمهم ندامةً العالِم المفرِّط.

وقيل: كان إبراهيم بن أدهم من أهل النِّعم بخراسان، فبينما هو يشرف من قصرٍ له ذات يـومٍ ، إذ نظـر إلى رجـلٍ في فـناء القصر وفي يده رغيفٌ يأكله، فلما أكل نام، فقال لبعض غلمانه: إذا قام فجئني به، فلما قام جاء به إليه، فقال إبراهيم: أيُّها الرَّجل، أكلت

الـرَّغيف وأنـت جائـع؟ قـال: نعم، قال: فشبعت؟ قال: نعم، قال: ثمَّ نمت طيِّبًا؟ قال: نعم، فقال إبراهيم في نفسه: فما أصنع أنا بالدُّنيا والنَّفس تقنع بهذا القدر؟!

ومـرَّ رجـلٌ بعامـر بـن عـبد القـيس وهو يأكل ملحًا وبقلاً، فقال له: يا عبد الله، أرضـيت من الدُّنيا بهذا؟ فقال: ألا أدلُّك على من رضي بشرٍّ من هذا؟ قال: بلى، قال: من رضي بالدُّنيا عوضًا عن الآخرة.

-154-

لقاء الحبيب (1)

وَحَقِّـكَ لا نَظَـرْتُ إلى سِواكا	بِعَـيْنِ مَـوَدَّةٍ حَتَّـى أَراكـا
أَراكَ مُعَذِّبِــي بِفُــتُورِ لَحْــظٍ	وَبِالْخَـدِّ الْمُـوَرَّدِ مِنْ حَياكا

[إ] يُحكـى عـن فاطمـة أخـت أبـي علـي الـروذباري قالـت: لَمَّا قرب أجل أبي علي الـروذباري ـ وكـان رأسـه في حجري ـ فتح عينيه وقال: هذه أبواب السَّماء قد فُتحت، وهـذه الجـنان قد زُيِّنت، وهذا قائلٌ يقول: يا أبا عليٍّ، قد بلَّغناك الرُّتبة القصوى وإن لم تردها، ثمَّ أنشأ يقول[البيتين].

[ش] مَـن أحـبَّ الله أحـبَّ لقـاءه، ولم ينظر إلى سواه، وكان الموت وسيلةً للقاء الحبيب والتنعُّم بوصله.

-155-

الموت لاقيك (2)

اشْدُدْ حَيازِيمَكَ لِلْمَوْتِ	فَـإِنَّ الْمَـوْتَ لاقِيكا

---

(1) الإحياء 6/ 117، من الوافر، لأبي علي الروزباري.
(2) الإحياء 6/ 113، من الهزج، للإمام علي رضي الله عنه.

وَلا تَجْـزَعْ مِنَ الْمَوْتِ إِذا حَــلَّ بِــوادِيكا

[إ] قال الأصبغ الحنظلي: لَمَّا كانت اللَّيلة الَّتي أُصيب فيها عليٌّ ـ كرَّم الله وجهه ـ أتاه ابن التَّيَّاح حين طلع الفجر يؤذِّنه بالصَّلاة وهو مضطجعٌ متثاقل، فعاد الثَّانية وهو كذلك، ثمَّ عاد الثَّالثة، فقام عليٌّ يمشي وهو يقول: [البيتين]، فلما بلغ الباب الصَّغير شدَّ عليه ابن ملجم فضربه.

وعن شيخٍ من قريش أنَّ عليًّا ـ كرَّم الله وجهه ـ لَمَّا ضربه ابن ملجم قال: فزت وربِّ الكعبة، وعن محمَّد بن علي أنَّه لَمَّا ضُرب أوصى بنيه، ثمَّ لم ينطق إلاَّ بـ(لا إله إلاَّ الله) حتَّى قُبض.

ولما ثقُل الحسن بن عليٍّ رضي الله عنهما دخل عليه الحسين رضي الله عنه فقال: يا أخي، لأيِّ شيءٍ تجزع؟ تَقدم على رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم وعلى عليِّ بن أبي طالب وهما أبواك، وعلى خديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمَّد وهما أمَّاك، وعلى حمزة وجعفر وهما عمَّاك، قال: يا أخي، أقدمُ على أمرٍ لم أقدم على مثله.

[ش] الموت آتٍ لا محالة، فيلزم كلّ إنسان أن يتهيأ له ويُعدَّ العُدَّة، ويصبر ولا يجزع حين يحل به.

-156-

أحبُك حبَّين [(1)]

أُحِبُّكَ حُبَّيْنِ: حُبَّ الْهَوَى وَحُبًّا لأَنَّكَ أَهْلٌ لِذاكا
فَأَمَّا الَّذِي هُوَ حُبُّ الْهَوَى فَشُغْلِي بِذِكْرِكَ عَمَّنْ سِواكا
وَأَمَّا الَّذِي أَنْتَ أَهْلٌ لَهُ فَكَشْفُكَ لِي الْحُجْبَ حَتَّى أَراكا

(1) الإحياء 5/ 200، من المتقارب، لرابعة العدوية.

فَـلا الْحَمْــدُ في ذا ولا ذاكَ لــي وَلَكِـنْ لَـكَ الْحَمْـدُ في ذا وَذاكـا

[إ] قـال الثَّوري لرابعة: ما حقيقة إيمانك؟ قالت: ما عبدته خوفًا من ناره ولا حبًّا لجنَّته فأكون كالأجير السُّوء، بل عبدته حبًّا له وشوقًا إليه.

ولعلَّهـا أرادت بــ(حـبّ الهـوى) حـبَّ الله لإحـسانه إلـيها وإنعامـه علـيها بحظوظ العاجلـة، وبــ(حـبّه لِمـا هو أهلٌ له) الحبَّ لجماله وجلاله الَّذي انكشف لها، وهو أعلى الحبَّين وأقواهما.

ولـذَّة مطالعـة جمـال الـرُّبوبيَّة هي الَّتي عبَّر عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم، حـيث قـال حاكـيًا عـن ربِّـه تعالى: "أعددت لعبادي الصَّالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر".

وقـد تُعجَّـل بعض هذه اللَّذات في الدُّنيا لِمن انتهى صفاء قلبه إلى الغاية، ولذلك قـال بعـضهم: إنّـي أقـول: يـا ربِّ، يـا الله، فأجد ذلك على قلبي أثقل من الجبال؛ لأنَّ النِّداء يكون من وراء حجاب، وهل رأيت جليسًا ينادي جليسه؟

وقـال: إذا بلـغ الـرَّجل في هذا العلم الغاية رماه الخلق بالحجارة، أي يخرج كلامه عن حدِّ عقولهم فيرون ما يقوله جنونًا أو كفرًا.

-157-

عدمتُ الحياة (1)

عَـــدِمْتُ الْحَـــياةَ ولا نِلْـــتُها إذا كُنْتَ فِي الْقَبْرِ قَدْ أَلْحَدُوكا
فَكَـــيْفَ أَذُوقُ لِطَعْـــمِ الْكَـــرَى وَأَنْــتَ بِيُمْــناكَ قَـدْ وَسَّــدُوكا

---

(1) الإحياء 6/ 123، من المتقارب.

[إ] قال أحمد بن حرب: تتعجَّب الأرض من رجلٍ يمهِّد مضجعه ويسوِّي فراشه للنَّوم فتقول: يا ابن آدم، لِمَ لا تذكر طول بلاك وما بيني وبينك شيء؟

ومرَّ داود الطَّائي على امرأةٍ تبكي على قبرٍ وهي تقول [البيتين]، ثمَّ قالت: يا ابناه، ليت شعري، بأيِّ خدَّيك بدأ الدُّود؟ فصعق داود مكانه وخرَّ مغشيًّا عليه.

[ش] مَن مات حبيبه لم يهنأ بالعيش، وتمنَّى أن يترك الدُّنيا ويلحق به.

-158-

بكاء العاشقين (1)

عَلامَـــةُ ذُلِّ الْهَـــوَى عَلَى الْعاشِقِينَ الْبُكَى
وَلا سِـــيَّما عاشِـــقٌ إِذا لَـمْ يَجِدْ مُشْتَكَى

[إ] الرِّضـا بمـا يخالف الهوى ليس مستحيلاً، بل هو مقامٌ عظيمٌ من مقامات أهل الدِّين، ومهمـا كـان ذلـك ممكـنًا في حـبِّ الخلـق وحظـوظهم كان ممكنًا في حقِّ حبِّ الله تعالى وحظوظ الآخرة قطعًا، وإمكانه من وجهين:

أحـدهما: الرِّضـا بـالألم لِما يُتوقَّع من الثَّواب الموجود، كالرِّضا بالفصد والحجامة وشرب الدَّواء انتظارًا للشِّفاء.

والثَّانـي: الرِّضـا بـه لا لحـظٍّ وراءه، بـل لكونه مراد المحبوب ورضا له، فقد يغلب الحـبُّ بحـيث ينغمـر مـراد المحبِّ في مراد المحبوب، فيكون ألذَّ الأشياء عنده سرورُ قلب محبوبه ورضاه، ونفوذ إرادته ولو في هلاك روحه.

(1) الإحياء 5/ 249، من المتقارب.

أسباب السعادة (1)

مَنْ شاءَ عَيْشًا رَحِيبًا يَسْتَطِيلُ بِهِ   في دِيـنِهِ ثُـمَّ في دُنْـياهُ إِقْـبالا
فَلْيَنْظُـرَنَّ إِلَـى مَـنْ فَـوْقَهُ وَرَعًا   وَلْيَنْظُـرَنَّ إِلَـى مَـنْ دُونَـهُ مالا

[إ] ما من عبدٍ إلاَّ وقد رزقه الله تعالى فى صورته، أو شخصه، أو أخلاقه، أو صفاته، أو أهلـه، أو ولـده، أو مسكنه، أو بلده، أو رفيقه، أو أقاربه، أو عزِّه، أو جاهه، أو في سائر محابِّه أمورًا لو سُلب ذلك منه وأُعطي ما خصِّص به غيره لكان لا يرضى به.

وذلك مثل أن جعله مؤمنًا لا كافرًا، وحيًّا لا جمادًا، وإنسانًا لا بهيمة، وذكرًا لا أنثى، وصحيحًا لا مريضًا، وسليمًا لا معيبًا؛ فإنَّ كل هذه خصائص وإن كان فيها عمومٌ أيضًا.

فـإنَّ هـذا الأحـوال لو بُدِّلت بأضدادها لم يرضَ بها، بل له أمورٌ لا يبدِّلها بأحوال الآدميِّين أيضًا، وذلـك إمَّـا أن يكون بحيث لا يبدِّله بما خصَّ به أحدٌ من الخلق، أو لا يـبدله بما خُصَّ به الأكثر، فإذا كان لا يبدِّل حال نفسه بحال غيره، فإذن حاله أحسن من حال غيره.

وإذا كـان لا يُعـرف شـخصٌ يرتـضي لنفـسه حالـه بدلاً عن حال نفسه، إمَّا على الجملـة وإمَّـا في أمرٍ خاصٍّ، فإذن لله عليه نعمٌ ليست له على أحدٍ من عباده سواه، وإن كـان يبدل حال نفسه بحال بعضهم دون البعض فلينظر إلى عدد المغبوطين عنده، فإنَّه لا محالـة يـراهم أقـلَّ بالإضـافة إلى غيرهم، فيكون مَن دونه فى الحال أكثر بكثيرٍ مِمَّن هو فوقه، فما باله ينظر إلى مَن فوقه ليزدري نعم الله تعالى على نفسه ولا ينظر إلى من دونه ليستعظم نعم الله عليه؟

---

(1) الإحـياء 4/ 390، مـن البـسيط، لأبـي الفـتح البـستي في يتيمة الدهر 4/ 231، بلفظ (رخيًّا) مكان (رحيبًا)، و(يستفيد به) بدلاً من (يستطيل به)، و(أدبًا) مكان (ورعًا).

ومـا بالـه لا يـسوِّي دنـياه بدينه؟ أليس إذا لامته نفسه على سيِّئةٍ يقارفها يعتذر إلـيها بـأنَّ في الفسَّاق كثرة، فينظر أبدًا فى الدِّين إلى مَن دونه لا إلى مَن فوقه؟ فلِم لا يكـون نظـره فى الدُّنيا كذلك؟ فإذا كان حال أكثر الخلق في الدِّين خيرًا منه وحاله في الدُّنـيا خـيرٌ مِـن حـال أكثر الخلق، فكيف لا يلزمه الشُّكر؟ ولهذا قال صلَّى الله عليه وسـلَّم: "مَـن نظـر في الدُّنـيا إلى مَن هو دونه ونظر في الدِّين إلى مَن هو فوقه كتبه الله صابرًا وشاكرًا، ومَن نظر في الدُّنيا إلى مَن هو فوقه وفي الدِّين إلى مَن هو دونه لم يكتبه الله صابرًا ولا شاكرًا".

-160-

أسرار العارفين (1)

سَـرَتْ بِأُنـاسٍ في الغُـيُوبِ قُلُوبُهُمْ	فَحَلُّـوا بِقُـرْبِ الْماجِـدِ الْمُتَفَـضِّلُ
عِراضًـا بِقُـرْبِ اللهِ في ظِـلِّ قُدْسِـهِ	تَجُــولُ بِــهِ أَرْواحُهُــمْ وَتَــنَقَّلُ
مَـوارِدُهُمْ فِـيها عَلَـى الْعِـزِّ وَالنُّهَى	وَمَـصْدَرُهُمْ عَـنْها لِمـا هُـوَ أَكْمَلُ
تَــرُوحُ بِعِــزٍّ مُفْــرَدٍ مِــنْ صِــفاتِهِ	وَفِـي حُلَلِ التَّوْحِيدِ تَمْشِي وَتَرْفُلُ
وَمِـنْ بَعْـدِ هَـذا مـا تَـدِقُّ صِـفاتُهُ	وَمـا كَـتْمُهُ أَوْلَـى لَدَيْـهِ وَأَعْـدَلُ
سَـأَكْتُمُ مِـنْ عِلْمِـي بِـهِ مـا يَصُونُهُ	وَأَبْـذُلُ مِـنْهُ مـا أَرَى الْحَـقَّ يَـبْذُلُ
وَأُعْطِـي عِـبادَ اللهِ مِـنْهُ حُقُـوقَهُمْ	وَأَمْـنَعُ مِـنْهُ مـا أَرَى الْمَـنْعَ يَفْضُلُ
عَلَــى أَنَّ لِلــرَّحْمَنِ سِــرًّا يَــصُونُهُ	إِلى أَهْلِـهِ في الـسِّرِّ وَالـصَّوْنُ أَجْمَلُ

[إ] كـان الجنـيد رحمـه الله ينـشد أبـياتًا يشير بها إلى أسرار أحوال العارفين ـ وإن كان ذلـك لا يجـوز إظهاره ـ وهي هذه الأبيات، وأمثال هذه المعارف الَّتي إليها الإشارة لا يجوز أن يشترك الناس فيها، ولا يجوز أن يظهرها مَن انكشف له شيءٌ من ذلك لمن لم ينكشف له، بل لو اشترك النَّاس فيها لخربت الدُّنيا.

---

(1) الإحياء 5/ 232، من الطويل، لأبي إسحاق الجنيد.

فالحكمـة تقتـضي شمـول الغفلـة لعمارة الدُّنيا، بل لو أكل النَّاس كلُّهم الحلال أربعـين يـومًا لخـربت الدُّنـيا لـزهدهم فـيها، وبطلت الأسواق والمعايش، بل لو أكل العلمـاء الحلال لاشتغلوا بأنفسهم، ولوقفت الألسنة والأقلام عن كثيرٍ مِمَّا انتشر من العلوم، ولكن لله تعالى فيما هو شرٌّ في الظَّاهر أسرارٌ وحِكَمٌ كما أنَّ له في الخير أسرارًا وحِكمًا، ولا منتهى لحكمته كما لا غاية لقدرته.

-161-

الأنس بالله (1)

الأُنْـسُ بِـاللهِ لا يَحْـوِيهِ بَطَّـالُ ... وَلَـيْسَ يُدْرِكُـهُ بِالْحَوْلِ مُحْتَالُ
وَالآنِـسُونَ رِجـالٌ كُلُّهُـمْ نُجُبٌ ... وَكُلُّهُـــمْ صَـــفْوَةٌ للهِ عُمَّـــالُ

[إ] ذهـب بعـض المـتكلِّمين إلى انكـار الأنس والشَّوق والحبِّ؛ لظنِّه أنَّ ذلك يدلُّ على التَّشبيه، وجهلـه بـأنَّ جمال المدرَكات بالبصائر أكمل من جمال المبصَرات، ولذَّة معرفتها أغلـب علـى ذوي القلـوب، حتَّى أنكر بعضهم مقام الرِّضا وقال: ليس إلاَّ الصَّبر، فأمَّا الرِّضـا فغـير متصوَّر، وهذا كلُّه كلامُ ناقصٍ قاصر، لم يطَّلع من مقامات الدِّين إلاَّ على القـشور فظـنَّ أنَّـه لا وجـود إلاَّ للقـشر؛ فـإنَّ المحسوسات وكلَّ ما يدخل في الخيال من طـريق الـدِّين قـشرٌ مجـرَّد، ووراءه اللُّبُّ المطلوب، فمن لم يصل من الجوز إلاَّ إلى قشره يظـنُّ أنَّ الجـوز خـشبٌ كلُّـه، ويستحيل عنده خروج الدُّهن منه لا محالة، وهو معذور، ولكن عذره غير مقبول.

[ش] الوصـول إلى حـضرة الله والأُنـس به لا يكون بالحيل، ولا بالرَّاحة وعدم التَّعب، والواصلون إلى تلك المرتبة أتعبوا أنفسهم بالتَّعبُّد والتَّهذيب ليصلوا إليها.

---

(1) الإحياء 5/ 236، من البسيط، مُحتال: صاحب حيلة.

-162-

يوم الفراق [1]

يَـوْمُ الفِـراقِ مِـنَ القِـيامَةِ أَطْـوَلُ　　وَالْمَـوْتُ مِنْ أَلَمِ التَّفَرُّقِ أَجْمَلُ
قالُـوا الرَّحِيلُ فَقُلْتُ لَسْتُ بِراحِلٍ　　لَكِــنَّ مُهْجَتِــيَ الَّتِــي تَتَــرَحَّلُ

[إ] قـال الجنـيد: سـألت سريًّا السَّقطي، هل يجد المحبُّ ألم البلاء؟ قال: لا، قلت: وإن ضُرِب بالسيف؟ قال: نعم، وإن ضُرِب بالسيف سبعين ضربة، ضربة على ضربة.

[ش] الْمُحـبُّون الـصادقون يُلهـيهم الأنـس بالمحـبوب عن الإحساس بالألم، ويرون كلَّ مصيبةٍ هيِّنةً ما داموا في معيَّته لا يفارقونه ولا يفارقهم، فالموت لديهم أهون من الفراق.

-163-

الصبر يَجمُل [2]

الصَّبْرُ يَجْمُلُ فِي الْمَواطِنِ كُلِّها　　إلاَّ عَلَــيْكَ فَإِنَّــهُ لا يَجْمُــلُ

[إ] قـيل في معنـى قـوله تعـالى: ﴿ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ﴾[3]: اصبروا في الله، وصابروا بـالله، ورابطـوا مـع الله، وقيل: الصَّبر لله غَناء، والصَّبر بالله بقاء، والصَّبر مع الله وفاء، والصَّبر عن الله جفاء.

-164-

دلائل المحبَّة (1) [4]

لا تُخْــدَعَنَّ فَلِلْحَبِــيبِ دَلائِــلُ　　وَلَدَيْـهِ مِنْ تُحَفِ الْحَبِيبِ وَسائِلُ

---

(1) الإحياء 5/ 246، من الكامل.
(2) الإحـياء 4/ 333، مـن الكامـل، وهـو لمحمـد بـن عبد الله العتبي ثاني بيتين في المستطرف 2/ 370، بلفظ (يحمد) مكان (يجمل)، وعجزه (فإنه مذموم).
(3) سورة آل عمران، الآية 200.
(4) الإحياء 5/ 234، من الكامل، لأبي تراب النخشبي.

مِــنْها تَــنَعُّمُهُ بِمُــرِّ بَلائِــهِ وَسُرُورُهُ في كُلِّ ما هُوَ فاعِلُ
فَالْمَــنْعُ مِــنْهُ عَطِــيَّةٌ مَقْــبُولَةٌ وَالْفَقْــرُ إِكْــرامٌ وَبِــرٌّ عاجِــلُ
وَمِـنَ الـدَّلائِلِ أَنْ تَرى من عَزْمِهِ طَـوْعَ الْحَبِـيبِ وَإِنْ أَلَـحَّ العاذِلُ
وَمِـنَ الـدَّلائِلِ أَنْ يُـرَى مُتَبَـسِّمًا وَالْقَلْـبُ فِـيهِ مِـنَ الْحَبِيبِ بلابِلُ
وَمِـنَ الـدَّلائِلِ أَنْ يُـرَى مُـتَفَهِّمًا لِكَـلامِ مَـنْ يَحْظَـى لَدَيْهِ السَّائِلُ
وَمِـنَ الـدَّلائِلِ أَنْ يُـرَى مُتَقَـشِّفًا مُـتَحَفِّظًا مِـنْ كُـلِّ مـا هُـوَ قائِـلُ

[إ] مَـن عـرف نفـسه وعـرف ربَّـه واسـتحيا مـنه حـقَّ الحياء خرس لسانه عن التَّظاهر بالدَّعـوى، نعـم يـشهد علـى حبِّه حـركاته وسكناته، وإقدامه وإحجامه وتردداته، كما حُكـي عـن الجنـيد أنَّـه قـال: مرض أستاذنا السري رحمه الله فلم نعرف لعلَّته دواءً ولا عـرفنا لها سببًا، فوُصف لنا طبيبٌ حاذق، فأخذ قارورةَ مائه فنظر إليها الطَّبيب، وجعل ينظـر إليه مليًّا ثمَّ قال لي: أراه بول عاشق، قال الجنيد: فصُعقت وغُشيَ عليَّ، ووقعت القـارورة مـن يـدي، ثـمَّ رجعـت إلى السَّري فأخبرته فتبسَّم، قال: قاتله الله ما أبصره، قلت: يا أستاذ، وتبين المحبَّة في البول؟ قال: نعم.

وقـد قـال الـسري مـرَّة: لـو شـئت أقـول: ما أيبس جلدي على عظمي ولا سلَّ جسمي إلاَّ حبُّه، ثمَّ غشيَ عليه، وتدلُّ الغشية على أنَّه أفصح في غلبة الوجد ومقدِّمات الغشية.

-165-

كان لي أمل (1)

يـا أَيُّهـا الـنَّاسُ كـانَ لِـي أَمَـلُ قَـصَّرَ بِـي عَـنْ بُلُـوغِهِ الأَجَلُ
فَلْيَــتَّقِ اللهَ رَبَّــهُ رَجُــلٌ أَمْكَــنَهُ في حَــياتِهِ العَمَــلُ
مـا أَنا وَحْدِي نُقِلْتُ حَيْثُ تَرَى كُــلٌّ إِلى مِــثْلِهِ سَــيَنْتَقِلُ

(1) الإحياء 6/ 124، من المنسرح.

[إ] وُجد مكتوبًا على قبر.

[ش] الأعمـار أقـصر مِمَّـا يتمنَّـى المرء، ولهذا يجب أن يستغلَّ عمره في العبادة والعمل للدَّار التي سينتقل إليها حتمًا.

-166-

الصدق [1]

قَـدْ بَقِينا مِـنَ الذُّنُـوبِ حَيارَى نَطْلُـبُ الـصِّدْقَ مـا إِلَيْهِ سَبِيلُ
فَـدَعاوَى الْهَـوَى تَخِـفُّ عَلَيْـنا وَخِـلافُ الْهَـوَى عَلَيْـنا ثَقِـيلُ

[إ] قـال أبـو بكـر الـورَّاق: احفظ الصدق فيما بينك وبين الله تعالى، والرفق فيما بينك وبين الخلق، وقيل لسهل: ما أصل هذا الأمر الذي نحن عليه؟ فقال: الصدق، والسخاء، والشجاعة، فقيل: زدنا، فقال: التُّقى، والحياء، وطيب الغذاء.

[ش] كـلُّ الـناس يدَّعـي حـبَّ الله ، لكـنَّ خلاف هوى النَّفس لإرضاء الله ثقيلٌ على النَّفس، وهو محكُّ الصِّدق في دعوى الحبِّ.

-167-

دلائل المحبَّة (2) [2]

وَمِــنَ الــدَّلائِلِ أَنْ تَـراهُ مُـشَمِّرًا في خِرْقَتَيْن عَلَى شُطُوطِ السَّاحِلِ
وَمِــنَ الــدَّلائِلِ حُــزْنُهُ وَنَحِيــبُهُ جَـوْفَ الظَّـلامِ فَما لَهُ مِنْ عاذِلِ
وَمِــنَ الــدَّلائِلِ أَنْ تَـراهُ مُـسافِرًا نَحْـوَ الْجِهـادِ وَكُـلِّ فِعْلٍ فاضِلِ

(1) الإحياء 5/ 297، من الخفيف، لذي النون، (الهوى) الأولى: الحب، والثانية: هوى النفس.
(2) الإحياء 5/ 234، من الكامل، ليحيى بن معاذ.

وَمِـنَ الـدَّلائِلِ زُهْـدُهُ فِـيما يَـرَى　　مِـــنْ دار ذُلٍّ وَالنَّعِـــيمِ الـــزَّائِلِ
وَمِـــنَ الـــدَّلائِلِ أَنْ تَـــراهُ باكِـــيًا　　أَنْ قَـدْ رَآهُ عَلَـى قَبِـيحِ فَعائِـلِ
وَمِـنَ الـدَّلائِلِ أَنْ تَـراهُ مُـسَلِّمًا　　كُـلَّ الأُمُـورِ إِلَى الْمَلِيكِ العادِلِ
وَمِـنَ الـدَّلائِلِ أَنْ تَـراهُ راضِـيًا　　بِمَلِـيكِهِ فِي كُـلِّ حُكْـمِ نـازِلِ
وَمِـنَ الدَّلائِلِ ضِحْكُهُ بَيْنَ الْوَرَى　　وَالْقَلْـبُ مَحْـزُونٌ كَقَلْبِ الثَّاكِلِ

[إ] قال الجنيد: النَّاس في محبَّة الله تعالى عامٌّ وخاصٌّ:

فالعوامُّ نالوا ذلك بمعرفتهم في دوام إحسانه وكثرة نعمه، فلم يتمالكوا أن أرضوه، إلاَّ أنَّهم تقلُّ محبَّتهم وتكثر على قدر النِّعم والإحسان.

فأمَّا الخاصَّة فنالوا المحبَّة بعِظَم القدر والقدرة والعلم والحكمة والتَّفرُّد بالملك، ولَمَّا عـرفوا صـفاته الكاملـة وأسمـاءه الحـسنى لم يمتـنعوا أن أحبُّوه؛ إذ استحقَّ عندهم المحبَّة بـذلك لأنَّه أهلٌ لها ولو أزال عنهم جميع النِّعم، نَعَم من النَّاس من يحبُّ هواه وعدوَّ الله إبلـيس، وهـو مـع ذلـك يُلـبس علـى نفسه بحكم الغرور والجهل فيظنُّ أنَّه محبٌّ لله عزَّ وجـلَّ، وهو الَّذي فُقدت فيه هذه العلامات، أو يُلبِس بها نفاقًا ورياءً وسمعة، وغرضه عاجـل حـظِّ الدُّنـيا، وهـو يُظهـر مـن نفـسه خلاف ذلك، كعلماء السُّوء وقُرَّاء السُّوء، أولئك بغضاء الله في أرضه.

وكـان سـهل إذا تكلَّـم مـع إنـسان قال: يا دوست، أي يا حبيب، فقيل له: قد لا يكـون حبيبًا، فكيف تقول هذا؟ فقال في أذن القائل سرًّا: لا يخلو إمَّا أن يكون مؤمنًا أو منافقًا، فإن كان مؤمنًا فهو حبيب الله عزَّ وجلَّ، وإن كان منافقًا فهو حبيب إبليس.

-168-

رجاء العفو [1]

وَلَمَّـا قَـسا قَلْبِـي وضـاقَتْ مَذاهِبِـي　　جَعَلْـتُ رَجائِـي نَحْـوَ عَفْوِكَ سُلَّما

---

(1) الإحياء 6/ 118، من الطويل، للإمام الشافعي رحمه الله، وهو في ديوانه ص90.

تَعاظَمَنِـــي ذَنْبِـــي فَلَمَّـــا قَـــرَنْتُهُ	بِعَفْـوِكَ رَبِّـي كـانَ عَفْـوُكَ أَعْظَمـا
فَمـا زِلْتَ ذا عَفْوٍ عَنِ الذَّنْبِ لَمْ تَزَلْ	تَجُـــودُ وَتَعْفُـــو مِـــنَّةً وَتَكَـــرُّما
وَلَـوْلاكَ لَـمْ يَغْـوَى بِإِبْلِـيسَ عابِـدٌ	فَكَـيْفَ وَقَـدْ أَغْـوَى صَـفِيَّكَ آدَمـا

[إ] دخـل المزني على الشَّافعي رحمة الله عليهما في مرضه الَّذي توفِّي فيه فقال له: كيف أصـبحت يـا أبـا عـبد الله؟ فقال: أصبحت من الدُّنيا راحلاً، وللإخوان مفارقًا، ولسوء عملـي ملاقـيًا، ولكأس المنيَّة شاربًا، وعلى الله تعالى واردًا، ولا أدري أروحي تصير إلى الجنَّة فأهنِّيها أم إلى النَّار فأعزِّيها، ثمَّ أنشأ يقول [الأبيات].

-169-

المنجِّم والطبيب (1)

قـالَ الْمُـنَجِّمُ وَالطَّبِيبُ كِلاهُما	لا تُبْعَثُ الأَمْواتُ قُلْتُ إِلَيْكُما
إِنْ صَـحَّ قَوْلُكُما فَلَسْتُ بِخاسِرٍ	أَوْ صَحَّ قَوْلي فَالْخَسارُ عَلَيْكُما

[إ] قال علي رضي الله عنه لبعض مَن قصر عقله عن فهم تحقيق الأمور وكان شاكًّا: إن صحَّ ما قلتَ فقد تخلَّصنا جميعًا، وإلاَّ فقد تخلَّصتُ وهلكتَ.

أي العاقـل يـسلك طـريق الأمن فى جميع الأحوال، فإن قلت: هذه الأمور جليَّة، ولكـنَّها ليـست تُـنال إلاَّ بالفكـر، فمـا بال القلوب هجرت الفكر فيها واستثقلته؟ وما علاج القلوب لردِّها إلى الفكر؟ لا سيَّما مَن آمن بأصل الشَّرع وتفصيله.

فاعلم أنَّ المانع من الفكر أمران:

أحـدهما: أنَّ الفكـر الـنَّافع هـو الفكـر في عقـاب الآخـرة وأهـوالها وشـدائدها،

---

(1) الإحـياء 4/ 307، مـن الكامل، لأبي العلاء المعري في اللزوميات 2/ 306 بلفظ "لا تُحشَر الأجساد" مكان "لا تُبعث الأموات".

وحسرات العاصين فى الحرمان عن النَّعيم المقيم، وهذا فكرٌ لدَّاغ، مؤلم للقلب، فينفر القلب عنه، ويتلذَّذ بالفكر فى أمور الدُّنيا على سبيل التَّفرُّج والاستراحة.

والثَّاني: أنَّ الفكر شغلٌ فى الحال مانعٌ مِن لذائذ الدُّنيا وقضاء الشَّهوات، وما مِن إنسانٍ إلاَّ وله فى كلِّ حالةٍ مِن أحواله ونفَسٍ من أنفاسه شهوةٌ قد تسلَّطت عليه واسترقَّته، فصار عقله مسخَّرًا لشهوته، فهو مشغولٌ بتدبير حيلته، وصارت لذَّته فى طلب الحيلة فيه أو في مباشرة قضاء الشَّهوة، والفكر يمنعه من ذلك.

أمَّا علاج هذين المانعين فهو أن يقول لقلبه: ما أشدَّ غباوتك في الاحتراز من الفكر في الموت وما بعده، تألُّمًا بذكره، مع استحقار ألم مواقعته، فكيف تصبر على مقاساته إذا وقع وأنت عاجزٌ عن الصَّبر على تقدير الموت وما بعده ومتألِّمٌ به.

-170-

حال المحب (1)

وَمَـنْ قَلْـبُهُ مَعْ غَيْرِهِ كَيْفَ حالُهُ؟ وَمَـنْ سِرُّهُ فِي جَفْنِهِ كَيْفَ يكْتُمُ؟

[إ] دخل ذو النُّون المصريُّ على بعض إخوانه مِمَّن كان يذكر المحبَّة، فرآه مبتلًى ببلاء، فقال: لا يحبُّه مَن وجد ألم ضرَّه، فقال الرَّجل: لكنِّي أقول: لا يحبُّه مَن لم يتنعَّم بضرِّه، فقال ذو النُّون: ولكنِّي أقول: لا يحبُّه مَن شَهَرَ نفسه بحبِّه، فقال الرَّجل: أستغفر الله وأتوب إليه.

[ش] المحبُّ لا يملك قلبه؛ فهو ملك لمحبوبه، ولا يستطيع الكتمان؛ فعيونه تفضحه.

-171-

عمران القبر (2)

أَبَـا غـانِمٍ أَمَّـا ذُراكَ فَواسِـعٌ وَقَبْـرُكَ مَعْمُـورُ الْجَـوانِبِ مُحْكَمُ

(1) الإحياء 5/ 233، من الطويل.

(2) الإحياء 6/ 123، من الطويل، لمساور الوراق في الأغاني 18/ 156.

وَمـا يَـنْفَعُ الْمَقْـبُورَ عُمْـرانُ قَبْـرِهِ   إذا كــانَ فِــيهِ جِــسْمُهُ يَــتَهَدَّمُ

[إ] وُجد مكتوبًا على قبر.

[ش] مهمـا كانـت القـبور معمـورة لم يستفد المقبور من عمرانها بشيء؛ إنَّما هو متهدِّم الجسم في قبره.

-172-

الأرزاق(1)

وَلَوْ كانَتِ الأَرْزاقُ تَجْرِي على الحِجا   هَلَكْـنَ إِذَنْ مِـنْ جَهْلِهِـنَّ الـبَهائِمُ

[إ] مـن نظـر إلى مجـاري سنَّة الله تعالى علم أنَّ الرِّزق ليس على قدر الأسباب، ولذلك سأل بعض الأكاسرة حكيمًا عن الأحمق المرزوق والعاقل المحروم، فقال: أراد الصَّانع أن يدلَّ على نفسه؛ إذ لو رزق كلَّ عاقلٍ وحرم كلَّ أحمق لظنَّ أنَّ العقل رَزَقَ صاحبَه، فلما رأوا خلافه علموا أنَّ الرَّازق غيرهم، ولا ثقة بالأسباب الظَّاهرة لهم.

[ش] الأرزاق لا تـتعلَّق بالعقـل أو القـدرة على الاكتساب أو الإحاطة بسبله، فلو كان الأمر كذلك لهلكت البهائم التي لا عقل لها تكتسب به.

-173-

الراحلون هم(2)

إذا تَـرَحَّلْتَ عَـنْ قَـوْمٍ وَقَـدْ قَـدِرُوا   أَنْ لا تُفَــارِقَهُمْ فالــرَّاحِلُونَ هُــمُ

[إ] مَن تعرَّض للغيبة وهو قادرٌ على الاحتراز منها فهو شريكٌ في تلك المعصية.

(1) الإحياء 5/ 156، من الطويل، وهو لأبي تمام.
(2) الإحياء 5/ 277، من البسيط، وهو للمتنبي في ديوانه ص333.

[ش] المؤمن ينأى بنفسه عن التسبُّب في الشَّرِّ لنفسه أو لغيره؛ فالتسبُّب إلى الشَّرِّ شر، ومهما كان متسبِّبًا في وقوع غيره في معصية فهو شريكٌ له فيها.

-174-

آثار المحبة (1)

يـا أَيُّهـا السَّيِّدُ الكَـريمُ　　حُـبُّكَ بَيْنَ الْحَشا مُقِيمُ
يـا رافِـعَ النَّوْمِ عَنْ جُفُونِي　　أَنْـتَ بِمـا مَـرَّ بـي عَلِيمُ

[إ] قال سفيان: المحبَّة اتِّباع رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم، وقال غيره: دوام الذِّكر، وقال غيره: إيثار المحبوب، وقال بعضهم: كراهية البقاء في الدُّنيا، وهذا كلُّه إشارة إلى ثمرات المحبَّة، فأمَّا نفس المحبَّة فلم يتعرَّضوا لها، وقال بعضهم: المحبَّة معنى من المحبوب قاهر للقلوب عن إدراكه، وتمتنع الألسن عن عبارته.

وقال الجنيد: حرَّم الله تعالى المحبَّة على صاحب العلاقة، وقال: كلُّ محبَّةٍ تكون بعِوَضٍ فإذا زال العِوَض زالت المحبَّة، وقال ذو النُّون: قل لِمَن أظهر حبَّ الله: احذر أن تذلَّ لغير الله، وقيل للشِّبلي رحمه الله: صف لنا العارف والمحبَّ، فقال: العارف إن تكلَّم هلك، والمحبُّ إن سكت هلك.

-175-

دوام الود (2)

وَكُـنَّا عَلَى أَنْ لا نَحُولَ عَنِ الْهَوَى　　فَقَدْ ـ وَحَياةِ الْحُبِّ ـ حُلْتُمْ وَما حُلْنا

[إ] قال أبو بكر الرَّشيدي: رأيت محمَّدًا الطُّوسي المعلِّم في النَّوم، فقال لي: قل لأبي

---

(1) الإحياء 5/ 260، من البسيط، للشبلي رحمه الله.
(2) الإحياء 6/ 152، من الطويل.

سعيد الصفار المؤدِّب: وكنا على ... [البيت]، قال: فانتبهت، فذكرت ذلك له فقال: كنت أزور قبره كلَّ جمعة فلم أزره هذه الجمعة.

-176-

الإخلاص (1)

إذا السِّرُّ والإِعْلانُ في الْمُؤْمِنِ اسْتَوَى	فَقَدْ عَزَّ في الدَّارَيْنِ واسْتَوْجَبَ الثَّنا
فَإِنْ خالَفَ الإِعْلانُ سِرًّا فَما لَهُ	عَلَى سَعْيِهِ فَضْلٌ سِوَى الْكَدِّ وَالْعَنا
فَما خالِصُ الدِّينارِ في السُّوقِ نافِقٌ	وَمَغْشُوشُهُ الْمَرْدُودُ لا يَقْتَضِي الْمُنا

[إ] مخالفة الظَّاهر للباطن إن كانت عن قصدٍ سُمِّيت رياءً، ويفوت بها الإخلاص، وإن كانت عن غير قصدٍ فيفوت بها الصِّدق، ولذلك قال رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم: "اللهمَّ اجعل سريرتي خيرًا من علانيتي، واجعل علانيتي صالحة"، وقال يزيد بن الحارث: إذا استوت سريرة العبد وعلانيته فذلك النَّصَف، وإن كانت سريرته أفضل من علانيته فذلك الفضل، وإن كانت علانيته أفضل من سريرته فذلك الجور.

وقال عطيَّة بن عبد الغافر: إذا وافقت سريرة المؤمن علانيته باهى الله به الملائكة، يقول: هذا عبدي حقًّا، وقال معاوية بن قرَّة: مَن يدلُّني على بكَّاءٍ باللَّيل بسَّامٍ بالنَّهار؟ وقال عبد الواحد بن زيد: كان الحسن إذا أمر بشيءٍ كان مِن أعمل النَّاس به، وإذا نهى عن شيءٍ كان من أَتْرَكَ النَّاس له، ولم أرَ أحدًا قطُّ أشبه سريرةً بعلانيةٍ منه.

وكان أبو عبد الرَّحمن الزَّاهد يقول: إلهي، عاملت النَّاس فيما بيني وبينهم بالأمانة وعاملتك فيما بيني وبينك بالخيانة، ويبكي، وقال أبو يعقوب النهرجوري: الصِّدق موافقة الحقِّ في السِّرِّ والعلانية، فإذن مساواة السَّريرة للعلانية أحد أنواع الصِّدق.

---

(1) الإحياء 5/ 301، من الطويل.

[ش] لا ينال المؤمن عزَّ الدَّارين إلا بالإخلاص، فإذا خالف سرُّه علانيته كان سعيه ضائعًا، ليس منه شيء سوى التعب والعناء، وإذا فرح بعمله فهو كفرحٍ بالمال المزيَّف الَّذي لا قيمة له.

-177-

التوكُّل (1)

وَيَـزْعُمُ أَنَّـهُ مِـنَّا قَـرِيبٌ	وَأَنَّـا لا نُـضَيِّعُ مَنْ أَتانا
وَيَسْأَلُنا عَلَى الإِقْتارِ جهْدًا	كَأَنَّـا لا نَـراهُ ولا يَـرانا

[إ] قال أحمد بن عيسى الخرَّاز: كنت في البادية فنالني جوعٌ شديد، فغلبتني نفسي أن أسأل الله تعالى طعامًا، فقلت: ليس هذا من أفعال المتوكِّلين، فطالبتني أن أسأل الله صبرًا، فلمَّا هممت بذلك سمعت هاتفًا يهتف بي ويقول: [البيتين]

فقد فهمت أنَّ من انكسرت نفسه، وقويَ قلبه، ولم يضعف بالجبن باطنه، وقويَ إيمانه بتدبير الله تعالى، كان مطمئنَّ النَّفس أبدًا، واثقًا بالله عزَّ وجلَّ؛ فإنَّ أسوأ حاله أن يموت، ولا بدَّ أن يأتيه الموت، كما يأتي مَن ليس مطمئنًّا.

فإذن تمام التَّوكُّل بقناعةٍ من جانب، ووفاءٍ بالمضمون من جانب، والَّذي ضمن رزق القانعين بهذه الأسباب الَّتي دبرها صادق، فاقنع، وجرِّب تشاهد صدقَ الوعد تحقيقًا بما يرد عليك من الأرزاق العجيبة الَّتي لم تكن في ظنِّك وحسابك، ولا تكن في توكُّلك منتظرًا للأسباب، بل لمسبِّب الأسباب، كما لا تكون منتظرًا لقلَم الكاتب، بل لقلب الكاتب؛ فإنَّه أصل حركة القلم، والمحرِّك الأوَّل واحد، فلا ينبغي أن يكون النَّظر إلاَّ إليه.

---

(1) الإحياء 5/ 156، من الوافر.

وهـذا شـرط تـوكُّل مَن يخوض البوادي بلا زاد، أو يقعد في الأمصار وهو خامل، وأمَّا الَّذي له ذكرٌ بالعبادة والعلم فإذا قنع في اليوم واللَّيلة بالطَّعام مرَّةً واحدة كيف كان وإن لم يكن من اللذائذ، وثوبٍ خشنٍ يليق بأهل الدِّين، فهذا يأتيه من حيث يحتسب ولا يحتسب علـى الـدَّوام، بـل يأتيه أضعافه، فتركه التَّوكُّل واهتمامه بالرِّزق غاية الضَّعف والقصور، فإنَّ اشتهاره بسببٍ ظاهرٍ يجلب الرِّزق إليه أقوى من دخول الأمصار في حقِّ الخامل مع الاكتساب.

فالاهـتمام بالـرِّزق قبـيحٌ بذوي الدِّين، وهو بالعلماء أقبح؛ لأنَّ شرطهم القناعة، والعـالم القانِـع يأتـيه رزقه ورزق جماعةٍ كثيرةٍ إن كانوا معه، إلاَّ إذا أراد أن لا يأخذ من أيـدي الـنَّاس ويأكـل من كسبه، فذلك له وجهٌ لائقٌ بالعالم العامل الَّذي سلوكه بظاهر العلـم والعمـل ولم يكـن لـه سـيرٌ بالباطن؛ فإنَّ الكسب يمنع عن السَّير بالفكر الباطن، فاشتغاله بالسُّلوك مع الأخذ من يد من يتقرَّب إلى الله تعالى بما يعطيه أولى؛ لأنَّه تفرُّغٌ لله عزَّ وجلَّ، وإعانةٌ للمعطي على نيل الثَّواب.

[ش] حمل همِّ الرِّزق ليس من صفات المتوكِّلين، فمَن صدق في توكُّله لم يحمل الهمَّ ولم ينشغل قلبه بالرزق.

-178-

صدق العبودية [1]

كُـــلُّ شَـــيْءٍ مِـــنْكَ مَغْفُـــو　　　رٌ سِـــوَى الإِعْـــراضِ عَـــنَّا

قَـــدْ وَهَبْـــنا لَـــكَ مَـــا فَـــا　　　تَ فَهَـــبْ مَـــا فَـــاتَ مِـــنَّا

[إ] سمـع إبـراهيم بـن أدهـم قـائلاً يقـول [البيتين] وهو في سياحته، وكان على الجبل، فاضـطرب وغُـشي علـيه فلـم يفـق يـومًا وليلة، وطرأت عليه أحوال، ثمَّ قال: سمعت النِّداء من الجبل: يا إبراهيم كن عبدًا، فكنتُ عبدًا واسترحت.

---

(1) الإحياء 5/ 231، من الرمل.

[ش] إذا صـدق العـبد في عبوديـته لله وجب عليه دوام الإخلاص والتوجُّه إليه، وعدم الإعراض أو الانشغال عنه بأي شيء.

-179-

الرِّزق بالقدر [1]

جَـرَى قَلَـمُ القَـضاءِ بِمـا يَكُونُ ... فَــسِيَّانَ التَّحَــرُّكُ وَالــسُّكُونُ

جُـنُونٌ مِـنْكَ أَنْ تَـسْعَى لِـرِزْقٍ ... وَيُــرْزَقُ في غــشاوَتِهِ الْجَــنِينُ

[إ] مـن نظـر في ملكـوت السَّماوات والأرض انكشف له تحقيقًا أنَّ الله تعالى دبَّر الملك والملكوت تدبيرًا لا يجاوز العبد رزقه وإن ترك الاضطراب، فإنَّ العاجز عن الاضطراب لم يجـاوزه رزقـه، أَمـا تـرى الجنين في بطن أمِّه لَمَّا أن كان عاجزًا عن الاضطراب كيف وصل سرَّته بالأمِّ حتَّى تنتهي إليه فضلات غذاء الأمِّ بواسطة السُّرَّة، ولم يكن ذلك بحيلة الجـنين، ثـمَّ لَمَّـا انفـصل سـلَّط الحـبَّ والـشَّفقة علـى الأمِّ لتـتكفَّل به شاءت أم أبت، اضطرارًا من الله تعالى إليه بما أشعل في قلبها من نار الحبِّ، ثمَّ لَمَّا لم يكن له سنٌّ يمضغ بـه الطَّعـام جعـل رزقه من اللَّبن الَّذي لا يحتاج إلى المضغ، ولأنَّه لرخاوة مزاجه كان لا يحـتمل الغـذاء الكثـيف فـأدرَّ لـه اللَّـبن اللَّطيف في ثدي الأمِّ عند انفصاله على حسب حاجته، أفكان هذا بحيلة الطفل أو بحيلة الأمِّ؟

فـإذا صـار بحـيث يـوافقه الغـذاء الكثـيف أنبت له أسنانًا قواطع وطواحين لأجل المضغ، فإذا كبر واستقلَّ يسَّر له أسباب التَّعلُّم وسلوك سبيل الآخرة.

فجبـنه بعد البلوغ جهلٌ محض؛ لأنَّه ما نقصت أسباب معيشته ببلوغه بل زادت، فإنَّـه لم يكـن قادرًا على الاكتساب فالآن قد قدر فزادت قدرته، نعم كان المشفق عليه

(1) الإحياء 5/ 154، من الوافر، لأبي الفرج علي بن الحسين بن هندو ، يتيمة الدهر (محقق) 5/ 163.

شخصًا واحدًا وهي الأمُّ أو الأب، وكانت شفقته مفرطةً جدًّا، فكان يطعمه ويسقيه في اليوم مرَّتين، وكان إطعامه بتسليط الله تعالى الحبَّ والشَّفقةَ على قلبه، فكذلك قد سلَّط الله الشَّفقةَ والمودَّة والرَّحمةَ والرِّقَّة على قلوب المسلمين، بل أهل البلد كافَّة، حتَّى إنَّ كلَّ واحدٍ منهم إذا أحسَّ بمحتاجٍ تألَّم قلبه ورقَّ عليه وانبعثت له داعيةٌ إلى إزالة حاجته، فقد كان المشفق عليه واحدًا والآن المشفق عليه ألفٌ وزيادة، وقد كانوا لا يشفقون عليه لأنَّهم رأوه في كفالة الأمِّ والأب وهو مشفقٌ خاصٌّ فما رأوه محتاجًا، ولو رأوه يتيمًا لسلَّط الله داعية الرَّحمة على واحدٍ من المسلمين أو على جماعةٍ حتَّى يأخذونه ويكفلونه، فما رُئي إلى الآن في سنيِّ الخصب يتيمٌ قد مات جوعًا، مع أنَّه عاجزٌ عن الاضطراب وليس له كافلٌ خاصٌّ، والله تعالى كافله بواسطة الشَّفقة الَّتي خلقها في قلوب عباده.

فلماذا ينبغي أن يشتغل قلبه برزقه بعد البلوغ ولم يشتغل في الصِّبا؟ وقد كان المشفق واحدًا والمشفق الآن ألف؟ نعم كانت شفقة الأمِّ أقوى وأحظى، ولكنَّها واحدة، وشفقة آحاد النَّاس وإن ضعفت فيخرج من مجموعها ما يفيد الغرض، فكم من يتيمٍ قد يسَّر الله تعالى له حالاً هو أحسن من حالِ مَن له أبٌ وأم، فينجبر ضعف شفقة الآحاد بكثرة المشفقين، وبترك التَّنعُّم والاقتصار على قدر الضَّرورة.

-180-

القوت والصحة والأمن [1]

إذا ما القُوتُ يَأْتِيكَ	كَذا الصِّحَّةُ وَالأَمْنُ
وَأَصْبَحْتَ أَخا حُزْنٍ	فَلا فارَقَكَ الْحُزْنُ

[إ] كلُّ من اعتبر حال نفسه وفتَّش عما خُصَّ به وجد لله تعالى على نفسه نعمًا كثيرة، لا سيَّما من خُصَّ بالسُّنَّة والإيمان والعلم والقرآن، ثمَّ الفراغ والصِّحة والأمن وغير ذلك.

(1) الإحياء 4/ 390، من الهزج.

بـل أرشـق العـبارات وأفـصح الكلمات كلام أفصح من نطق بالضَّاد، حيث عبَّر صـلَّى الله علـيه وسـلَّم عـن هذا المعنى فقال: "مَن أصبح آمنًا في سِربه، معافًى في بدنه، عنده قوت يومه، فكأنَّما حِيزت له الدُّنيا بحذافيرها".

ومهما تأمَّلت النَّاس كلَّهم وجدتهم يشكون ويتألَّمون من أمورٍ وراء هذه الثَّلاث، مـع أنَّهـا وبـالٌ علـيهم، ولا يشكرون نعمة الله في هذه الثَّلاث، ولا يشكرون نعمة الله علـيهم في الإيمان الَّذي به وصولهم إلى النَّعيم المقيم والملك العظيم، بل البصير ينبغي أن لا يفـرح إلاَّ بالمعرفة واليقين والإيمان، بل نحن نعلم من العلماء من لو سُلِّم إليه جميع ما دخـل تحـت قـدرة ملوك الأرض من المشرق إلى المغرب من أموالٍ وأتباعٍ وأنصار وقيل لـه: خـذها عوضًـا عن علمك، بل عن عُشر عُشَير علمك، لم يأخذه؛ وذلك لرجائه أنَّ نعمـة العلـم تفـضي بـه إلى قـرب الله تعالى في الآخرة، بل لو قيل له: لك في الآخرة ما تـرجوه بكمالـه، فخذ هذه اللَّذَّات في الدُّنيا بدلاً عن التذاذك بالعلم فى الدُّنيا وفرحك بـه، لكان لا يأخذه؛ لعلمه بأنَّ لذَّة العلم دائمةٌ لا تنقطع، وباقيةٌ لا تُسرَق ولا تُغصَب، ولا يُنافَس فيها، وأنَّها صافيةٌ لا كُدورة فيها.

ولـذَّات الدُّنـيا كلُّهـا ناقصةٌ مكدَّرةٌ مشوَّشة، لا يفي مرجوُّها بِمَخُوفها، ولا لذَّتُها بألَمِهـا، ولا فرحُها بغمِّها، هكذا كانت إلى الآن، وهكذا تكون ما بقي من الزَّمان؛ إذ ما خُلقَـتْ لذَّاتُ الدُّنيا إلاَّ لتُجلب بها العقول النَّاقصة وتُخدع، حتَّى إذا انخدعت وتقيَّدتْ بها أبت عليها واستعصت، كالمرأة الجميل ظاهرها، تتزيَّن للشَّابِّ الشَّبِق الغنيِّ، حتَّى إذا تقـيَّد بهـا قلبه استعصت عليه واحتجبت عنه، فلا يزال معها فى تعبٍ قائمٍ وعناءٍ دائم، وكـلُّ ذلـك بـاغتراره بلذَّة النَّظر إليها فى لحظة، ولو عقل وغضَّ البصر واستهان بتلك اللَّذَّة سلِم جميعَ عُمرِه.

[ش] كـلُّ مـا يلـزم لسعادة الإنسان هو ما يكفيه من القوت، والصحة، والأمن، فإذا حـزن فهـو طالـبٌ لمـا وراء ذلـك، وهـو جديرٌ بدوام الحزن؛ لما فيه من الطمع وعدم القناعة.

-181-

سُكرُ المحبَّة [1]

إِنَّ الْمَحَبَّةَ لِلرَّحْمَنِ أَسْكَرَنِي   وَهَلْ رَأَيْتَ مُحِبًّا غَيْرَ سَكْرانِ؟

[إ] قد يستولي الحبُّ بحيث يدهش عن إدراك الألم، فالقياس والتَّجربة والمشاهدة دالَّة على وجوده، فلا ينبغي أن ينكره مَن فقده من نفسه؛ لأنَّه إنَّما فقده لفقد سببه، وهو فرط حبِّه، ومَن لم يذق طعم الحبِّ لم يعرف عجائبه، فللمحبِّين عجائب أعظم مِمَّا وصفناه.

دخل جماعةٌ من النَّاس على الشِّبلي رحمه الله تعالى في مارستان قد حُبس فيه وقد جَمع بين يديه حجارة، فقال: مَن أنتم؟ فقالوا: مُحبُّوك، فأقبل عليهم يرميهم بالحجارة، فتهاربوا، فقال: ما بالكم ادَّعيتم محبَّتي؟ إن صدقتم فاصبروا على بلائي، وقال بعض عُبَّاد أهل الشَّام: كلُّكم يلقى الله عزَّ وجلَّ مصدِّقًا ولعلَّه قد كَذَبه، وذلك أنَّ أحدكم لو كان له أصبعٌ من ذهب ظلَّ يشير بها، ولو كان بها شللٌ ظلَّ يواريها، يعني بذلك أنَّ الذَّهب مذمومٌ عند الله والنَّاس يتفاخرون به، والبلاء زينة أهل الآخرة وهم يستنكفون منه.

-182-

لذَّة العبادة [2]

أَلَذُّ مِنَ التَّلَذُّذِ بِالْغَوانِي   إذا أَقْبَلْنَ في حُلَلٍ حِسانِ

مُنِيبٌ فَرَّ مِنْ أَهْلٍ وَمالٍ   يَسِيحُ إِلَى مَكانٍ مِنْ مَكانِ

لِيُخْمِلَ ذِكْرَهُ وَيَعِيشَ فَرْدًا   وَيَظْهَرَ فِي العِبادَةِ بِالأَمانِي

---

(1) الإحياء 5/ 248، من البسيط، للشبلي رحمه الله.

(2) الإحياء 6/ 29، من الوافر.

تَلَــذُّذُهُ الــتِّلاوَةُ أَيْــنَ وَلَّــى وَذِكْــرٌ بِالْفُــؤادِ وَبِاللِّـــسانِ
وَعِــنْدَ الْمَــوْتِ يَأْتِــيهِ بَــشِيرٌ يُبَــشِّرُ بِالــنَّجاةِ مِــنَ الْهَــوانِ
فَــيُدْرِكُ مــا أَرادَ وَمــا تَمَنَّــى مِنَ الرَّاحاتِ فِي غُرَفِ الْجِنانِ

[إ] كـان كرز بن وبرة يختم القرآن في كلِّ يومٍ ثلاث مرات، ويجاهد نفسه في العبادات غايـة المجاهدة، فقيل له: قد أجهدت نفسك، فقال: كم عمر الدُّنيا؟ فقيل: سبعة آلاف سنة، فقال: كم مقدار يوم القيامة؟ فقيل: خمسون ألف سنة، فقال: كيف يعجز أحدكم أن يعمـل سُـبع يومٍ حتَّى يأمن ذلك اليوم! يعني أنَّك لو عشت عمر الدُّنيا واجتهدت سـبعة آلاف سنة، وتخلَّصت من يومٍ واحدٍ كان مقداره خمسين ألف سنة، لكان ربحك كثيرًا، وكنت بالرَّغبة فيه جديرا، فكيف وعمرك قصير، والآخرة لا غاية لها؟

فهكـذا كانـت سيرة السَّلف الصَّالحين في مرابطة النَّفس ومراقبتها، فمهما تَمرَّدت نفـسُك علـيك وامتنعت من المواظبة على العبادة فطالع أحوال هؤلاء؛ فإنَّه قد عزَّ الآن وجـود مثلهم، ولو قدرت على مشاهدة مَن اقتدى بهم فهو أنجع في القلب وأبعث على الاقتداء؛ فليس الخبر كالمعاينة.

وإذا عجزت عن هذا فلا تغفل عن سماع أحوال هؤلاء، فإن لم تكن إبلٌ فمعـزى، وخيِّـر نفسـك بين الاقتداء بهم والكون في زمرتهم وغـمارهم ـ وهم العقلاء والحكماء وذوو البـصائر في الدِّين ـ وبين الاقتداء بالجهلة الغافلين من أهل عصرك، ولا ترضَ لها أن تنخرط في سلك الحمقى، وتقنع بالتَّشبُّه بالأغبياء، وتُؤثر مخالفة العقلاء.

فـإن حدَّثـتك نفـسك بأنَّ هؤلاء رجالٌ أقوياء لا يُطاق الاقتداء بهم فطالع أحوال النِّساء المجتهدات وقل لها: يا نفسُ لا تستنكفي أن تكوني أقلَّ من امرأة! فأخسِس برجلٍ يقصِّر عن امرأةٍ في أمر دينها ودنياها.

-183-

قبور الأحبَّة (1)

وَقَفْـتُ عَلَى الأَحِبَّةِ حِينَ صُفَّتْ　　قُـبُورُهُمُ كَأَفْـراسِ الـرِّهانِ
فَلَمَّـا أَنْ بَكَـيْتُ وَفـاضَ دَمْعِـي　　رَأَتْ عَيْـنايَ بَيْـنَهُمُ مَكانِـي

[إ] وُجد مكتوبًا على قبر.

[ش] لو اتَّعظ زائر القبور لرأى قبره وسطها.

-184-

لم يعرفوني (2)

يَمُـرُّ أَقارِبِـي جَنَـباتِ قَبْـرِي　　كَـأَنَّ أَقارِبِـي لَـمْ يَعْرِفُونِـي
ذَوُو الْمِـيراثِ يَقْتَـسِمُونَ مالِـي　　وَمـا يَأْلُـونَ أَنْ جَحَدُوا دُيُونِي
وَقَـدْ أَخَـذُوا سِـهامَهُمُ وعاشُوا　　فَـيالله أَسْـرَعَ مـا نَـسُونِي

[إ] وُجد مكتوبًا على قبر.

[ش] لو نطق الميِّت لأخبر بتعجُّبه من حال أقاربه ووارثيه، حيث يأخذ كلٌّ منهم نصيبه في ماله، وينكرون الديون التي عليه، ويعيشون حياتهم ولا يذكرونه.

-185-

ذوي الأنس (3)

قَـوْمٌ تَخـالَجَهُمْ زَهْـوٌ بِسَيِّدِهِمْ　　وَالْعَـبْدُ يَـزْهُو عَلَـى مِقْدارِ مَوْلاهُ

---

(1) الإحياء 6/ 124، من الوافر.
(2) الإحياء 6/ 123، من الوافر.
(3) الإحياء 5/ 237، من البسيط.

تاهُـوا بِـرُؤْيَتِهِمْ عَمَّـا سِـواهُ لَهُ   يـا حُـسْنَ رُؤْيَتِهِمْ في عِزٍّ ما تاهُوا

[إ] عـن الحـسن قـال: احترقت أخصاصٌ بالبصرة، فبقي فى وسطها خصٌّ لم يحترق، وأبـو موسـى يومـئذٍ أمـير البصرة فأُخبِر بذلك، فبعث إلى صاحب الخصِّ، قال: فأُتي بـشيخٍ فقـال: يا شيخ، ما بال خصِّك لم يحترق؟ قال: إنِّي أقسمت على ربِّي عزَّ وجلَّ أن لا يحـرقه، فقـال أبـو موسى رضي الله عنه: إنِّي سمعت رسول الله صلَّى الله عليه وسـلَّم يقـول: "يكـون في أمَّتي قومٌ شعثةٌ رؤوسهم، دنسةٌ ثيابهم، لو أقسموا على الله لأبرَّهم".

قـال: ووقع حريقٌ بالبصرة، فجاء أبو عبيدة الخوَّاص فجعل يتخطَّى النَّار، فقال له أمـير البصرة: انظر لا تحترق بالنَّار، فقال: إنِّي أقسمت على ربِّي عزَّ وجلَّ أن لا يحرقني بالنَّار، قال: فاعزم على النَّار أن تطفأ، قال: فعزم عليها فطفئت.

وكـان أبـو حفـصٍ يمـشي ذات يـوم، فاسـتقبله رسـتاقيٌّ مدهـوش، فقال له أبو حفص: ما أصابك؟ فقال: ضلَّ حماري ولا أملك غيره، قال: فوقف أبو حفص وقال: وعـزَّتك لا أخطـو خطـوة ما لم تردَّ عليه حماره، قال: فظهر حماره في الوقت، ومرَّ أبو حفص رحمه الله.

فهـذا وأمـثاله يجـري لذوي الأنس، وليس لغيرهم أن يتشبَّه بهم، قال الجنيد رحمه الله: أهـل الأُنس يقولون في كلامهم ومناجاتهم في خلواتهم أشياء هي كفرٌ عند العامَّة، وقـال مـرَّة: لـو سمعها العموم لكفَّروهم، وهم يجدون المزيد في أحوالهم بذلك، وذلك يُحتمل منهم ويليق بهم.

[ش] لأهل الأُنس بالله ما ليس لغيرهم من الناس في اتِّصالهم بالله ومناجاتهم له، ويقع منهم ما لو وقع من العالِم لنُسِب إلى الكفر أو سوء الأدب مع الله.

-186-

خطر الكلمة [1]

وَلاَ تَكْتُبْ بِخَطِّكَ غَيْرَ شَيْءٍ يَسُرُّكَ فِي الْقِيامَةِ أَنْ تَراهُ

[إ] رُئي الجاحظ فقيل له: ما فعل الله بك، فقال: [البيت].

[ش] للكلمة عند الله قدرٌ عظيم، وكل امرئٍ محاسَبٌ يوم القيامة بما يلفظ بلسانه أو يكتب بقلمه، ولهذا يجب عليه الحذر والمراقبة في كل ما يقول وما يكتب، فلا يكتب ولا يقول إلا خيرًا.

-187-

النّجاة [2]

فَإِنْ تَنْجُ مِنْها تَنْجُ مِنْ ذِي عَظِيمَةٍ وَإِلاَّ فَإِنِّي لا أَخالُكَ ناجِيا

[إ] يُحكى أنَّ رجلاً من المنهمكين في الفساد مات في بعض نواحي البصرة، فلم تجد امرأته مَن يُعينها على حمل جنازته؛ إذ لم يدر بها أحدٌ من جيرانه لكثرة فسقه، فاستأجرت حَمَّالين وحملتها إلى المصلَّى فما صلَّى عليه أحد، فحملتها إلى الصَّحراء للدفن، فكان على جبلٍ قريبٍ من الموضع زاهدٌ من الزُّهَّاد الكبار، فرأته كالمنتظر للجنازة، ثمَّ قصد أن يصلِّي عليها، فانتشر الخبر في البلد بأنَّ الزَّاهد نزل ليصلِّي على فلان، فخرج أهل البلد، فصلَّى الزَّاهد وصلُّوا عليه، وتعجَّب النَّاس من صلاة الزَّاهد عليه، فقال: قيل لي في المنام: انزل إلى موضع فلان ترَ فيه جنازة ليس معها أحدٌ إلاَّ امرأة، فصلِّ عليه فإنَّه مغفورٌ له، فزاد تعجُّب النَّاس، فاستدعى الزَّاهد امرأته وسألها عن حاله وكيف كانت سيرته، قالت: كما عُرِف، كان طول نهاره في الماخور مشغولاً بشرب

---

(1) الإحياء 6/ 151، من الوافر، للجاحظ.

(2) الإحياء 6/ 120، من الطويل، نسبه الغزالي إلى صلة بن أشيم، ونُسب في البيان والتبيين 1/ 195 إلى الأسود بن سريع.

الخمـر، فقـال: انظـري هل تعرفين منه شيئًا من أعمال الخير؟ قالت: نعم، ثلاثة أشياء: كـان كـل يومٍ يفيق من سكره وقت الصُّبح يبدِّل ثيابه ويتوضَّأ ويصلِّي الصُّبح في جماعةٍ ثـمَّ يعـود إلى الماخـور ويـشتغل بالفـسق، والثَّانـي أنَّـه كان أبدًا لا يخلو بيته من يتيمٍ أو يتـيمين، وكـان إحـسانه إلـيهم أكثـر مـن إحـسانه إلى أولاده، وكـان شديد التَّفقُّد لهم، والثَّالث أنَّه كان يُفيق في أثناء سكره في ظلام اللَّيل فيبكي ويقول: يا ربِّ، أيُّ زاويةٍ من زوايـا جهـنم تُـريد أن تملأهـا بهـذا الخبيث؟ ـ يعني نفسه ـ فانصرف الزَّاهد وقد ارتفع إشكاله من أمره، وعن صلة بن أشيم وقد دُفن أخٌ له فقال على قبره [البيت].

***

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.
- إحياء علوم الدين، للإمام أبي حامد الغزالي، بيروت، ط3، دار الخير، 1414هـ - 1994م.
- الأغاني، لأبي الفرج الأصبهاني، بيروت، ط2، دار الفكر، نسخة إلكترونية، مكتبة الأدب، مركز التراث لأبحاث الحاسب الآلي، 1419هـ - 1999م.
- البيان والتبيين، للجاحظ، بيروت، دار الكتب العلمية، د.ت
- جمهرة الأمثال لأبي هلال العسكري، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم وعبد المجيد قطامش، بيروت، ط2، دار الفكر، نسخة إلكترونية، مكتبة الأدب، مركز التراث لأبحاث الحاسب الآلي، 1419هـ - 1999م.
- دلائل الإعجاز، لعبد القاهر الجرجاني، قرأه وعلق عليه محمود محمد شاكر، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2000م.
- ديوان الإمام الشافعي مع مختارات من روائع حكمه، تدقيق وتعليق صالح الشاعر، القاهرة، ط1، مكتبة الآداب، 1426هـ - 2005م.
- ديوان الإمام علي، جمعه وشرحه الأستاذ نعيم زرزور، بيروت، دار الكتب العلمية، د.ت
- ديوان حاتم الطائي، بيروت، دار ومكتبة الهلال، 1984م.
- ديوان لبيد بن ربيعة، بيروت، دار صادر، د.ت

- ديوان المتنبي، بيروت، دار بيروت للطباعة والنشر، 1403هـ – 1983م.

- ديوان النابغة الذبياني، شرح وتقديم عباس عبد الساتر، بيروت، ط1، دار الكتب العلمية، 1405هـ – 1985م.

- روضة العقلاء ونزهة الفضلاء، لابن حبان البستي، بيروت، دار الكتب العلمية، 1397هـ – 1977م، نسخة إلكترونية، مكتبة الأدب، مركز التراث لأبحاث الحاسب الآلي، 1419هـ – 1999م.

- شرح ديوان أبي العتاهية، بيروت، ط1، دار الكتب العلمية، 1405هـ – 1985م.

- شرح ديوان الحماسة، للمرزوقي، نشرة أحمد أمين وعبد السلام هارون، ط1، بيروت، دار الجيل، 1411هـ – 1991م.

- صبح الأعشى في صناعة الإنشا، للقلقشندي، القاهرة، الهيئة العامة لقصور الثقافة، 2004م.

- اللزوميات، لأبي العلاء المعري، بيروت، ط2، دار الكتب العلمية، 1406هـ – 1986م.

- لسان العرب، لابن منظور، دار إحياء التراث العربي ومؤسسة التاريخ العربي، بيروت، 1997م.

- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، لابن الأثير، بيروت، المكتبة العصرية، 1420هـ – 1999م.

- مجمع الأمثال، للميداني، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، بيروت، دار المعرفة، د.ت، نسخة إلكترونية، مكتبة الأدب، مركز التراث لأبحاث الحاسب الآلي، 1419هـ – 1999م.

- المستطرف في كل فن مستظرف، للأبشيهي، بيروت، دار مكتبة الحياة، 1988م.

- المستقصى في أمثال العرب، للزمخشري، بيروت، ط2، دار الكتب العلمية، 1397هـ – 1977م.

- يتـيمة الدهـر في محاسـن أهـل العصر، لأبي منصور الثعالبي، بيروت، ط2، دار الفكر، 1392هـ - 1973م.

- يتـيمة الدهـر، تحقـيق د. مفـيد قمـيحة، بـيروت، ط2، دار الكـتب العلمـية، 1983م، نسخة إلكترونية، مكتبة الأدب، مركز التراث لأبحاث الحاسب الآلي، 1419هـ - 1999م.

فهرس الأشعار



الفهرس العام